يَا أَهْلَ السُّنَّةِ:
خُذُوا حِذْرَكُمْ

تَأْلِيفُ الشَّيْخ
عَبْد الرَّحْمَن يَعْقُوب

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[الأنعام: ١٥٣]

مقدمة

* الحمد لله الذي، يضل من يشاء ويهدي وهو أعلم بالمهتدين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

وبعد:

* فهذه الصفحات مُلَخَّص لِعِدَّة دُرُوس أَلقيتها في مصر وخارجها، وتدور حول حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرُهم عن معاوية بن أبي سفيان، وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

* «افْتَرقت اليهودُ على إحدى وسبعين فِرقة، وافترقتِ النَّصارى على ثِنْتَيْن وسبعين فرقة. وستفترقُ أُمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلا واحدة»(١). قالوا: مَنْ هي يا رسول الله؟ قال: «منْ كان على مِثْل مَا أنا عليه اليوم وأصحابي»(٢).

* *

* ولقد كنت قديمَ العَهْدِ بهذه المادة العلمية، وذلك حين التحقتُ بكلية الشريعة بجامعة الأزهر في الستينات من القرن الماضي، فَمَا أنْ حَلَلْتُ بالقاهرة، حتَّى أخذتُ أَتَرَدَّدُ على بعضِ المنتدياتِ الثقافية والفكرية، ومِنْ خلالها عرفتُ ثقافاتٍ لم أكن أعرفها إلا لِمَامًا، ووقفتُ على أفكار لم أكن أسمع عنها إلا قليلاً، فقد

---

(١) بعض الفرق يخلد في النار لفساد عقيدته، وبعضها يدخلها لكن لا يخلد فيها، والعدد للمبالغة.

(٢) أنكرَ البعضُ هذا الحديث، وقد يكون سنده ضعيفا إلا أنه صحيح المعنى بدليل وجود مئات الفرق التي ظهرت، ثم اختفى بعضها ولا يزال بعضها موجودا، فماذا يقول المنكرون في مئات الفرق الموجودة الآن؟

كانت القاهرة في هذا الزمن تطغَى على ما سواها من المدن إعلامًا وثقافة وفكرًا، ولم تكن وسائل الاتصال كما هي اليوم.

* *

* في هذه الآونة كانت تَنْشَط في مصر جماعة تسمى - جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية - يقودها مجموعةٌ من علماء الشيعة من إيران وغيرها، ومن علماء السنة بمصر، واستطاعت أن تُحرِز تقدُّمًا في هذا المجال، كان من ثَمَرته أن أفتى شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله، بأن المذهب الْجَعفري الشِّيعي يصلح لأن يكون مرجعًا من مراجع أهل السنة، وَقُوبِلَتْ هذه الفتوى باستهجان شديد، ومعارضةٍ قوية من كبار العلماء، وظل الأمْرُ بَيْنَ أخذٍ وردٍّ، إلى أن ماتَتْ الفتوى بحكم الزمن، وكان لابُدَّ أن تموت، والحمد لله رب العالمين.

* *

* كان هذا أوّلَ الخيط الذي ربطني بالمطبوعات التي تُصْدرها جماعة التقريب، فأقْبَلْتُ على بعضها قراءة وتَدَبُّرًا - بمقدار علمي وجهدي في ذلك الوقت - فكنت أعرف وأُنْكِر، وأتقدم وأتأخر، وأقبل وأرفُض، إلى أن قرأت بعْضَ مؤلفاتِ الشيعة أنفسهم، فإذا بها تخالف في أهم المسائل مذهب أهل السنة والجماعة، وبخاصة ما يتعلق منْها بأسماء الله وصفاته، والصحابة والإمامة، ثم لَمَّا قرأت عَنْ فرقٍ أخرى وَوَقَفْتُ على ما فيها من ضَلالات، ازْدَدْت يقينًا بما قاله النبي ﷺ في الحديث السابق.

* *

* وقبل أكثر من خمسة وعشرين عامًا، مَنَّ الله عَلَي بكتابة سلسلة من المقالات في مجلة التوحيد التي تُصدرها جماعة أنصار السنة بمصر، تحت مُسَمَّى «الْفِرق في الإسلام» بَدْءًا بالخوارج ثم بالشيعة، ثُمَّ بِبعض الفرق البائدة.

* *

* وأثناء كتابتي عن الشيعة، قامت ثورة الخوميني في إيران، وجَعلتْ شِعارها

معاداةَ أعداءِ الإسلام في كلِّ مكان(١)، فتعاطفَ معها معظمُ المسلمين تعاطفًا شديدًا، حيث كانوا ـ ولا يزالون ـ يَتَطَلَّعُونَ إلى ظهور مُنْقِذٍ من أهل السنة، يُخلِّصهم مما هم فيه من ذلّةٍ وهوان، وينقذهم من أعدائهم المتسلطين عليهم والمُتَرَبِّصين بهم، فَلَمَّا لَمْ يجدُوه تَعَلَّقوا بالثورة الإيرانية، خاصة وأن معظمهم لا يعرفون شيئًا عن الشيعة والتَّشَيُّع.

* *

* ثم شاء الله أن ألتقي في بعض المناسبات مع علماء من الشيعة فَسَمِعتُ من بعضهم كلاما طيبا، ومن آخرين كلاما منكرًا.

* *

* ثُمَّ لَمَّا اشْتَبَكَتْ إسرائيل ـ دَمَّرَها الله ـ مع المقاومة في لبنان، وبرَز اسمُ ـ حزب الله الشيعي ـ ازْدَادَ عامَّةُ الناس إلا من رحم الله، تَعَلُّقًا بالشيعة وإعجابًا بالتشيع؛ وأخذوا يسألون عن هؤلاء الأشَاوِس، وعن مذهبهم الذي يدعو إلى الجهاد، ويَستَبسِل في محاربة قوى الكفر والاستبداد، وبرزَ إعلامُهم مُنْتَهِزًا هذا الواقع المُرَّ الذي تَعيشُه الأمة، وقدَّمهم على أنهم نِتَاجُ مذهب جِهاديٍّ، وأنهم سيثأرون للأمة من أعدائها، ويُعيدون إليها مجدها وعِزَّها، وكلَّما جاهدوا إسرائيل شَغَفَهُم أكثرُ الناس حُبًّا!

* *

* وكنا ـ ولا زلنا ـ نُمْطَرُ بوَابِلٍ من الأسئلة عن هؤلاء المجاهدين وعن مذهبهم، فإذا أجَبْنا بالحق أو بما هو أقربُ إليه، مع الكثير من التَّلَطُّفِ والحكمةِ، عَتِبَ علينا قومٌ، وغَضِبَ منَّا آخرون، وادَّعى علينا البعض بأننا نُفَرِّقُ كلمة المسلمين، وكَأَنَّ علماء السَّلَفِ كانوا من المُفَرِّقينَ لِكلمة الأمة، حينما بَيَّنوا للناس أخطاء المُخْطِئِين، وبِدَعَ المبتدعين!

---

(١) وهذا غير صحيح. لأن الشيعة في إيران كانوا يساعدون روسيا ضد مجاهدي الشيشان، ولا يزالون يعادون أكثر التنظيمات الإسلامية الجهادية في بلاد كثيرة.

* ونحن نُقَدِّر عَوَاطِفَ هؤلاء وأولئك، ونَعْلَمُ بَوَاعِثَها، ونُدْرِكُ دَوافِعَها، ونشكو إلى الله قُعُودَ القاعدين، وتَخلُّفَ المُـخلَّفين، ولكنْ، لا نُقَدِّر فيهم جَهْلَهم بِمَنْهَج أهل السنَّة الَّذي يعلو ولا يُعْلَى عليه، ولا يقبل معه شريكًا أبد الآبدين.

* *

* كان من نتاج ذلك الواقع الذي برز فيه ـ الشِّيعة ـ أن كثيرًا من أهل السنة قد خَلَطُوا مذهبَهم بمذهب الشيعة، وقالوا: لا فرق بيننا وبينهم، بل إن البعض قد وقَعُوا في أحْبَال التشيع فابتعدوا بذلك عن النهج القويم، والصراط المستقيم.

* *

* فَهَلْ يُتْرَكُ الناسُ يُسْتَدْرجون إلى غيرِ سبيلِ أهل السنة فَيَضيعون.

* أليس من حقهم أن يُبَيِّنَ لهم الحق من الباطل، والصوابُ من الخطأ.

* أليس فرضًا على كل مسلم أن يُنْقِذَ أخَاه إن استطاع مِن التَّرَدِّي في المهالك؟

* وهل يُترك جِهَادُ العلماء الذين عملوا ليلاً ونهارًا، وسرا وجهَارًا، وبكل سبيل على أن تبقى الأمة على ما كان النبي ﷺ وأصحابُه يَضِيعُ سدى؟

* *

* لا والله لن يكون هذا أبدًا، إذْ ستَبْقى الأمة بفضل الله في معظمها، أو ستبقى طائفة منها قائمةً على الحق لا يضرُّهم من خذَلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى، كما بَشَّرَ بذلك النبي ﷺ.

* *

* ولأنَّ الرَّد على أهل البدع من أبواب الجهاد، كما قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد»، فقد حَشَرْتُ نفسي مَعَ المجاهدين لِلْبدعة وأهلها، وتَعَلَّقْتُ بأذيالهم؛ مُسْتَوحِيًا مِنهم هذه الصفحات، التي كانت من قبلُ دروسًا ومحاضرات، وخطبًا ومُسَجَّلات، قمتُ بها إعذارًا إلى الله، وإبراء للذمة.

* *

* وأنا بذلك لا أستَعْدي على الشيعة ولا على غيرهم أحدًا، فنَحن معًا في خندق واحدٍ ضد أعداء الإسلام، ولـكن يجب أن لا يَدْفَعَ الأعجابُ بهم أحدًا مِنْ أهل السنة إلى أن يتهاوَنَ فيما عليـه من الحق، أو إلى اعتقاد أنهم على صواب في كل شيء.

* *

* وحين ترى أيها المسلم بعض مـا وقعوُا فيه من مخـالفات، فانتبه إليـها، واحْذَرْ مِنْها، حتَّى لا تُؤْتَى من قِبَل حُسن نيـتك، أوْ مِنْ هَياج عاطفتك، أو مِنْ أي سبيل يلْتَبسُ عليك.

* وعسى الله أن يفتح بيننا وبينهم بالحق وهو خير الفاتحين.

* *

* هذا ولَمَّـا كـانـت بَعْضُ أفكارِ الفرقِ الأخـرى كالخوارج والمعـتزلة والمُرْجِـئة والجبرية وغيرها، قد تَسَرَّبتْ إلى عقول بعض الناس.

* ولَمَّا كـانت فِرَقٌ أخرى كالبـهائية والقـاديانية تَنْشَطُ في الدعوة إلى ضَـلالِها، فقـد ذَكَرْتُ بعضَ مـا عليه هذه الفـرق من عقـائد فاسـدة، نُصْحًا لـلأمة، وإبراءً للذمة.

* والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* *

* وأسـألـه سبحانه أن يرزقنا الثبـات حتى الممات، وأن يغفـرلي ولِوَالدي ولأهل بيتي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

عبدالرحمن يعقوب

تمهيد

إن الدين عندَ الله الإسْلام

* خلق الله سبحانه الخلقَ ليَعْبدوه ويُوحِّدُوه ولا يشركُوا به شيئًا، كما قال تعالى: ﴿ وما خلقتُ الْجنَّ والإنس إلاَّ ليعْبدُون ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

* ومَنْ أجْلِ هذا شرعَ لهم دينَ الإسلام، فقال جل شأنه: ﴿ إنَّ الدين عند الله الإسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وأرسل به الرسلَ، وأنزل به الكتب ليُعلِّم الناس كيف يعبدونه، لكي لا تكونَ لهم حُجَّةٌ على الله يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ رُسُلاً مُبشرين ومنذرين لئلاَّ يكُونَ للنَّاس عَلى اللَّه حُجَّةٌ بعْدَ الرُّسُل وكَانَ اللَّهُ عزيزًا حكيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٥].

الْخائنون يُحرِّفون دينَ اللَّه

* واستَحفَظَ اللهُ عزَ وجَل الأممَ السابقةَ دينَ الإسلام، وأخذ عليهمُ الميثاق أن لا يُغيِّروا فيه ولا يبدِّلوا، لَكِنَّ فريقًا منهم خَانَ عَهْدَ الله سبحانه، فحرَّفوا دينَه، وبدَّلوا آياته، وابتدعوا في شرعه، فانتَهَوا إلى الكفر والضلال، وقال الله تعالى في بعضهم: ﴿ وإنَّ منهم لفريقًا يلْوُون ألْسنتَهم بالْكتَاب لتحْسبُوهُ من الْكتَاب ومَا هُوَ من الْكتاب ويَقولُون هو منْ عند الله ومَا هُوَ منْ عند اللَّه ويَقُولُونَ عَلَى اللَّه الْكذب وهم يعلمون ﴿٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

وتكفَّل اللَّهُ بحفْظه

* لذلك قضَى اللهُ سبحانَه أن تَعُودَ ملَّة الإسلام من جديد، وأن تكون تلكَ العودةُ نهايةَ المطاف، وأن يكون ذلك على يَدِ محمد ﷺ سيدِ المرسلين، وخاتَم النَّبيين، وعلى نُورِ القرآن الكريم، الذي تَكفَّل الله بحفظه من التَّغيير والتَّبديل

والتحريف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾ [الحجر: ٩] ومعَ ذلِك، فَقَدْ أخبرَ النَّبِيُّ ﷺ أن فريقًا مِنَ الْمَنْسُوبين لِدينِ الإسلام سيُحاولون تأويلَه وتحريفَه، وقد يقطعُون في ذلك شوطًا أو أشواطًا، وقد يُنْشِئُون فرقةً أو فِرقًا، لكنَّ كتابَ اللهِ تعالى، وسُنَّةَ رسوله ﷺ سَيْبقَيان مَحفُوظان بحفظ اللهِ لهما إلى يوم القيامة، وحَوْلهما رجالٌ يَدْفَعُون عنهما تحريفَ الْمُبْطلين، وتأويلَ الْمُغْرِضين، وكيدَ الخائنين، إلى أن يقوم الناسُ لرب العالمين.

* *

* وبَلَّغَ النبيُّ ﷺ رسالة ربه أحسنَ بلاغ، وأدَّاها أفضلَ أداء، ولم يَنْتَقِلْ إلى ربِّه، إلا بعدَ أن أكملَ اللهُ دينه، وأتمَّ نعمتَه، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

الْخُلَفاء الراشدون

* ولَمَّا مات النبي ﷺ حاولتِ الفتنةُ أن تُطِلَّ برأسها لِتَفْريق المسلمين، وذلك في صورة خلافٍ بين المهاجرين والأنصار على مَنْ يَقُودُ الأمَّة بعد رسول الله ﷺ، لَكِنِ الصحابةُ الأبرار، قَمَعُوها بالإيثار، وحُسنِ الاختيار.

* *

* فَبَيْنَمَا كان فريقٌ من الصحابة مَشْغُولاً بموت النبي ﷺ وتَجْهيزه، اجتمعَ الأنصار في سَقِيفَة بني ساعدة[1]، وهَمُّوا بأن يُبَايعُوا سعدَ بنَ عبادة رضي الله عنه خليفةً للمسلمين، فأتى آتٍ إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأخبرهما بذلك، فقال عمر لأبي بكر: انطلقْ بنا إلى إخواننا الأنصار حَتَّى ننظرَ ما هم عليه، فانطلقَا ومعهما عددٌ كبير من الصحابة، فتكلم الأنصارُ، فذكروا سَابِقَتَهم في الإسلام، وجهادَهم في سبيله، ورَأَوْا أنهم أهلٌ لِخلافة رسول الله ﷺ، فتكلَّم أبو بكر رضي الله عنه وأكَّد

(١) السقيفة المكان المسقوف الذي يجتمع فيه القوم في المناسبات وغيرها.

فضيلةَ الأنصار وشرفَهم وجهادَهم ومنزلَتهم، ثم توجه إلى سعد بن عبادة ﷺ وقال: ولَقَدْ علمتَ يا سعدُ أن رسولَ الله ﷺ قال وأنت قاعدٌ تسمع: «قريشٌ ولاةُ هذا الأمر، فبرُّ الناس تبعٌ لِبرِّهم، وفاجرُهم تبعٌ لفاجرهم» فقال سعد: صدقت، فقال رجل من الأنصار: يا معشر المهاجرين، مِنَّا أميرٌ ومنكم أمير، فقال عمر ﷺ: يا معشر الأنصار أَلَسْتُم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمَرَ أبا بكر أن يَؤُم الناس؟ قالوا: بلى، قال: فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نفسُه أن يتقدَّم أبا بكر؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر، فقال قائل الأنصار: يا معشرَ المهاجرين أنتم الأمراء، ونحنُ الوزراء.

أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ

* حينئذ وقَفَ عمر ﷺ، وتَطَلَّعَ إلى المهاجرين، ورَغْم أنه قال في أبي بكر ما قال، إلا أنه تَوَجَّه إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ وقال: ابْسُط يدَك أبايعْك فأنت أمين هذه الأمة عَلَى لِسَانْ رسول الله ﷺ، فقال أبو عبيدة: أَتُبايِعُني وفيكم الصديق وثَانِيَ اثنين؟ فتوجه عمر إلى أبي بكر وقال: ابْسُط يَدَكَ أبايعْك، فقال أنت أقوى مني، فقال عمر: وأنت أفضلُ مني، وإن قوَّتي لك مَعَ فضلك فاستجاب أبو بكر ﷺ، وبايعه الحاضرون، ثم عُرِضت البيعةُ على عامَّة المسلمين فَبَايعوه، لم يَتَخَلَّفْ منهم أحد.

عَلِيٌّ يُبايع أبَا بكر

* تَأَخَّر عن البيعة في أول أمرها عليٌّ بن أبي طالب والزبيرُ بنُ الْعَوَّام ﷺ وبعضُ بني هاشم، فذهب إليهم أبو بكر ﷺ لِيعْرِف رأيهم، فقال له علي: إنه لم يَمْنَعْنا من أن نُبايعَك يا أبا بكر إنكارًا لِفَضْلك، ولا نَفَاسَةً عليك(١)، ولكنَّا كنَّا نرى أن لَنا في هذا الأمر حقًّا، وقال الزبير: مَا مَنَعَنا إلا لأننا أُخِّرنا عن الْمَشُورة، فقال

(١) أي ولا حَسَدًا لك.

أبو بكر: والله ما كنتُ حريصًا على الإمارة يومًا وليلة، ولا سألْتُها الله في سرٍّ ولا علانية، ثم تركهم ومضى، فَلَحِقُوه وبايعوه على رءوس الأشهاد.

* *

* وهكذا تَمَّتْ البيعةُ لأبي بكر رضي الله عنه بإجماع المسلمين، فقادَ الأمَّةَ قيادةً رشيدة، وسار في الناس سيرةً حَسَنَةً، حتى لَقِيَ ربَّه راضيًا مَرْضيًا.

عُمر الْفَارُوق رضي الله عنه

* لَمَّا مَرِض أبو بكر رضي الله عنه مرضَ الموت، خَشِيَ على الصحابة من الاختلاف على مَنْ يقودُهم بعده، فرأى أن يَسْتَخلفَ عليهم عمر رضي الله عنه، فاستشارَ بعضَ الصحابة سرًا فوافقوه على ذلك، ولَمَّا أعلن رأيَه اعترضَ بعضُهم عليه، وقال له طلحةُ بنُ عُبَيْدِالله رضي الله عنه: استَخْلفتَ على الناس عمرَ وقد رأيتَ ما يلقى الناسُ منه، فكيف إذا خَلا بهم، وأنت لاقٍ ربَّك فَسَائِلُك عن رعيتك؟، فقال أبو بكر: أبالله تُخَوِّفني؟ قلتُ إذا لقيتُ ربي فَسَاءَلني: استَخْلفتُ على أهلك خيرَ أهلك، * وصدق أبو بكر، فَمَنْ مثلُ عمر قادَ الأمة بعده إلى الخير والرُّشْدِ والفلاح؟

عُثْمان ذُو النُّورَين رضي الله عنه

* قَضَى عمرُ رضي الله عنه قُرَابة عشر سنين وستَّةِ أشهر في خلافةٍ راشدة، وولاية عادلة، وجهادٍ موصول، فلَمَّا طعَنَه أبو لؤلؤة وكان مجوسيًا ثم تَنَصَّر[1]، استدعى عبدَالرحمن بنَ عوف رضي الله عنه فأمره أن يُصَلِّيَ بالناس ثم دعاه وقال لَه: إنِّي أريدُ أن أعْهدَ إليك، فقال عبدُالرحمن: اللَّهُم لا، والله لا أدخل في هذا الأمر أبدًا، قال عمر: فإنِّي أعْهَدُ إلى النَّفَر الذين تُوُفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فاختار ستة من خيار الصحابة، عثمانَ بن عفَّان، وعَلِيَّ بنَ أبي طالب، وطلحةَ بنَ عبيدالله، والزُّبيرَ بن العوام، وسعدَ بن أبي وَقَّاص،

(١) تاريخ الطبري.

وعبدَالرحمن بنَ عوف ﷺ، وطلبَ منهم أن يَختاروا أحدَهم، وقال: إنْ يُرِدِ اللهُ بكم خيراً يجمعْكم على خير هؤلاء كمَا جمعَكم على خيركم بعدَ نبيكم ﷺ، وما أظنُّ الناسَ يَعْدِلُون بعثمانَ وعلي أحداً.

* *

* وانظُروا إلى إنصاف عمر وعَدْله وفضله وتجرُّده، وخوفه من ربه؛ فلَيْسَ في هؤلاء الستة واحدٌ من أقاربه، ولَمَّا سُئِل عن ذلك قال: لا أتحَمَّل أمرَهم حيا ولا ميِّتاً.

* *

* اجتمعَ هؤلاء الستة أكثرَ من مرَّة، وفَوَّضُوا عبدَالرحمن بن عوف ﷺ في اختِيارِ الأمير، فكان لا يهدأ ولا ينام، ولَا يَنْشَغِل إلا بصلاةٍ ودعاء واستخارة، وأخذ يَستَشيرُ الناسَ لا يترك منهم أحداً، فكان يسأل أعلاهم وأدناهم، ورجالَهم ونساءَهم، وسرا وعلانية، حتى سأل الصبيانَ والعبيدَ والركبانَ والأعراب، وظل على ذلك ثلاثة أيام بلَيَالِيها، فَلَمْ يَجدِ اثْنَين يختلفان في عثمان، وقليل منهم كان يُرَشِّح عليا، فأرسل إلى عثمانَ وعليٍّ، فحضرا إليه في المسجد، وجمع الناس لِيَشْهَدوا الاختيار والبيعةَ.

* ثم صَعِد المنبر فحمِد اللهَ وأثنى عليه، ثم دعَا دُعاءً طويلاً لم يسمَعْه الناس، ثم قال: أيُّهَا الناس، إني سألتكم سِراً وجهراً بأمَانِيِّكُمْ، فلم أجدْكم تعدلون بأحدِ هذين الرجلين، إمَّا عَلِي وإمَّا عثمان، فقم يا علي، فقام، فوقفَ تحت المنبر فأخذ عبدُالرحمن بيده وقال: أتُبَايِعُني على كتابِ الله تعالى، وسُنَّة نبيه ﷺ وفِعْلِ أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جُهدي من ذلك وطاقتي، فترَك يده، ثم قال: قمْ يا عثمان، فأخذ بيده فقال: هل تُبَايِعُني على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وفعلِ أبي بكر وعمر؟ فقال: اللهم نعم، فَبَايعه الناسُ وبايعه علي ﷺ.

* *

* وقـادَ عثمانُ الأمَّةَ كـأحسن ما تكون القيادة، حتى قُتِل شـهيدًا مظلومًا. وهو يتلو كتاب الله تعالى، وبِقتْلِه رضي الله عنه فُتحت أبواب الفتنة، ولم تُغْلَق إلى الآن.

عَلِيٌّ رضي الله عنه مِسْكُ الْخِتام

* بَعْدَ مَقْتَل عثمان رضي الله عنه ، اجتمع الصحابةُ في المدينة واختاروا عليًا رضي الله عنه ، فأخذ يُغَيِّرُ الولاة ومنهم معاويةُ رضي الله عنه الذي كَانَ واليًا على الشام أكثرَ من عشرين سنة، فتمسَّك به أهلُهَا، ورفض معاويةُ أن يبايع عليا حتى يُسَلِّمه قتلةَ عثمان، وأَبَى عَلِيٌّ ذلك، حَتَّى يُحَقِّق في أمْرِهم، ويقيمَ عليهم حَدَّ الله، فَهُوَ وليُّ الأمر الذي لا يقيم الحدود غيرُه.

* *

* هُنَا انقـسـم المسلمون إلـى فريقين: فريقٌ يُؤيِّدُ عـليًّا، وآخرُ ينتـصرُ لِمعاوية، وبَلغَت المأساة ذُرْوَتَها حين قـاتل بعضُـهم بعضًا، ثم جَرى التحكيم المعروف الذي انتهى إلى إسْنَاد أمر النزاع إلى كبـار الصحابة، فَلم يـرْضَ به بعضُ أنصار علي، فَخرجوا عليه وعلى المسلمين جميعًا، ثم قاتلوه وقتلوه.

* وهنا بدأت:

الفُرْقة والفِرق

* ذلـك أن الذينَ قَتلُوا عليًّا سُمُّوا بالخـوارج أوَّلُ فرقة ضَلَّت سبيل المؤمنين، وذهبت مذهبَ الهالكين.

* ومع الأيام أُطْلق على الفريق الذي انتصرَ لعلي رضي الله عنه اسمُ الشِّيعة.

* ثم تَشَعَّبَ من هؤلاء وأولئك فرقٌ وطوائف، ثم هَبَط على المسلمين جماعاتٌ وجماعات، صار أكثرها إلى الكفر المبين.

* *

* وبقيَ أهل السنة وحدهم، حُرَّاسًا لدين الله، وحُمَاةً، لعقيدة الإسلام، فهم الذين يُحيُّون السنة ويُعلمونها الناس، وهم الطائفة الظاهرة الَّذين لا يَضرُّهم من خَذَلهم ولا من خالفهم إلى أن يأتيَ أمر الله تبارك وتعالى، وهم النَّاجُون يوم الهول العظيم، كما أخبر بذلك الرسول الكريم.

* *

* فإلى أهمِّ الفرق نتعرفُ عليها، ونقفُ باختصارٍ غيرِ مُخِل، على ما هي عليه من حق أو باطل، والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى أقوم طريق.

* *

* فاللهم فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيبِ والشهادةِ أنتَ تحكمُ بَين عبادِك فيمَا كانُوا فيه يختلفون، اهدنا لِمَا اختْلِف فيه من الحق بإذنك إنك على صراط مستقيم.

* *

أهلُ السُّنَّةِ والجَماعة

* سُمُّوا أهلَ السنة لاتِّباعهم طريقةَ النبي ﷺ في كلِّ ما جاءَ به من كتاب وسنة، وسُمُّوا بالجماعة، لاجْتِمَاعِهِم على ذلك، واجتماعِهم على حُبِّ جميع الصحابة، على العكس من الفرق الأخرى، التي ذهبت إلى تكفير أو تفسيق بعض الصحابة الكرام، مع أن الله تعالى بشَّرَهم جميعًا بالجنة والرضوان، وقد يُسَمَّوْن بالسَّلف لِسيْرِهم على منهج سلف الأمة من الصحابة والتابعين[١].

مَنْهَجُهُمْ

* يقوم منهجُ أهل السنة على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة.

* ويُقَدِّمُون فهمَ السَّلف الصالح للكتاب والسنة، على كل فهم، فهم خير القرون، وأعلم الخلق بالدين.

* *

* فالكتابُ حق لا ريب فيه، والعصمة ثابتةٌ للرسول ﷺ.

* والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة، أمَّا آحَادُ الناس فلا عصمة لأحدٍ منهم، والمرجع عند الخلاف يكون لله ورسوله، مع إعْذَار مَن اجْتَهدَ فأخطأ، اللهم إلا إذا ظهَرَ خطَؤُه ونُبِّه إليه، وأصرَّ عليه، فلا يُعْذَر، بل يبين أمْرُه، ويُحَذَّرُ منه، خاصةً إذا كان خطأً فاحِشًا.

مُجْمَل عقيدتهم

* يَعتقدون أن النبي ﷺ قد بيَّن أُصولَ الدين كلَّها، فليس لأحد أن يُحدث في دين الله شيئًا تحت أيِّ سِتار أو شعار فـ «كلُّ مُحدَثَةٍ بدعة وكلُّ بدعةٍ ضَلالة»[٢].

---

(١) وليس من السلفيين ولا على نهجهم، هؤلاء الْمُتَشَدِّدون الْمُتَنَطِّعون الذين يُخَطِّئون ويُكَفِّرُون عامَّة الأمة بلا دليل ولا برهان، اللهم إلا الفهم السقيم، والهوى المتَّبع.

(٢) رواه أحمد وغيره.

* يُسَلِّمُون لله ورسوله ظاهرًا وباطنًا، ويَأبَوْن أن يعارَضَ شيء من القرآن الكريم والسنة الصَّحيحة بِكَشْف مَوْهُوم، أو ذَوْقٍ معلوم، أوْ إمامٍ معصوم، أو قياسٍ أو رؤيا، أو غير ذلك.

* *

* يعتقدون أن العقل السَّليم موافقٌ للنقل الصحيح، فلا يختلفان ولا يتعارضان، وإذا تُوُهِّمَ أن العقل يخالف النقل، قُدِّم النقلُ على العقلِ، ومن فعل غيرَ ذلك فقد حَادَّ الله ورسوله، لقوله تعالى: ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [الحجرات: ١] ولقوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

* *

* يعتقد أهل السنة والجماعة في كل ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، أمرًا ونَهيًا وإرشادًا، فَهُم يُؤْمِنون، بأن الدِّين عند الله الإسلام، وأنه مَن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، وأنه اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعمل بالأركان، وأنه يقوم على أصول وفروع، وأن المسلمين مُطالَبُون بِمَعْرفتِها، والوقوفِ عليها لِيَعبُدوا الله على بصيرة.

* *

* فأوَّلُ الأصول التي يقوم عليها اعتقادُ أهل السنة والجماعة: أركان الإيمان، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

* *

* ويتحقق **الإيمان بالله** بالإيمان بأسمائه وصفاته، وتوحيده ربًا، وتوحيده إلهًا، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

* *

* أما الإيمان بأسماء الله وصفاته فيتحَقّق باعتقاد أن لله تعالى أسماءً هي أحسن الأسماء، وصفاتٍ هي أكمل الصِّفات، لا يُشْبِهُه فيها أحد من خلقه، إذْ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

* *

* ويتحقق كذلك باعتقاد أن أسماء الله وصفاته هي التي تعملُ في الكون كلِّه، فمَا مِن نفع أو ضَرٍّ، وما مِنْ خَصْبٍ، أو جَدْب ومَا مِنْ حياة أو موت، ومَا مِن نِعْمة سَابِغة، وما مِنْ رحمة نازلة، ومَا مِنْ نِقمة حاصلة، إلا وهي من آثار أسماء الله وصفاته.

* *

* ويتحقق أيضًا باعتقادِ أن الله تعالى مُنَزَّهٌ عن النقائص والمعايب، فلا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، ولا يناله عجزٌ ولا زلل، ولا يلحقه فتور ولا كسل، ولا يُدركه نِسيَانٌ ولا مَلل، ولا يُحيطه لُغُوبٌ ولا تعب، ولا ترَاخٍ ولا نصب، ولَا شَيْءَ مما يلحق الخلائقَ أبدًا، سبحان الله عَمَّا يصفون.

* *

* ويتحقق كذلك بأن يُثْبِتَ لله ما أثْبَتَه لِنَفسه، وما أثبتَه له رسولُه ﷺ من صفاتٍ، وأن يُفَوِّض كَيْفيَّتها له سبحانه.

* *

* فقد وصف الله تعالى نفسه، ووصفه رسوله ﷺ، بأنّ له وجهًا وعينًا ويدًا، وأنه يرضى ويغضب، ويضحك ويعجب، ويُحِبُّ ويكره، وينزل ويَعْرُج، وأنه مُسْتَوٍ على عرشه، عَالٍ على خلقه، إلى غير ذلك من الصفات، فأهل السنة يؤمنون بأن هذه الصفات وغيرها حق لا ريب فيه، ويُثْبِتونها لله سبحانه على الوجه اللائق به، فَلَهُ وجْهٌ وعين ويَدٌ على الحقيقة، وهو يرضى ويغضب على الحقيقة، وينزل من فوق السماء السابعة إلى السماء الدنيا ثم يعرج إليها، كلٌّ

ذلك بِمَا يليق بمقامه، ولا يعلم كيفيته إلا هو لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

* *

* ثم إنه لا يحلُّ بخلقه، وليس في كل مكان بذاته، بل بِعِلْمِهِ وسَمْعِه وبَصره وإحاطته، كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦] والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

* *

* فَمَنْ قالَ بغيرِ ذلك فقد خالفَ أهلَ السنة، وقد تكون المخالفة كفراً، كمن يُشَبِّه الله بخلقه أو يُمَثِّلُه بهم، وقد تكون فِسْقًا، كمن يجعل الصفات عينَ الذات فيقول: يُده ذاته، وعينهُ ذاته، وَوَجْهُه ذاته، وهكذا[1]، وقد تكون المخالفة خطأً وزللاً، كَمَنْ يُؤَوِّلُها تأويلاً غيرَ صحيح، فيفسِّر الْيَدَ بالقدرة، والاستواء بالاستيلاء، وكَمَنْ يَسْكُت ويتوقَّف عن إثباتِ صفاتِ الله، فيقول: نحن لا نعلمُ الْمُرادَ من هذه الصفات فلا نُثبتُها ولا نَنْفِيها، وإنما نتوقف في شأنها.

* *

* وأمَّا توحيد الربوبية، وهو: إفراد الله بأفعاله، فَيتحَقَّق باعتقاد أنه ما من فعلٍ في السماء والأرض إلا وهو من الله سبحانه، فالخلق والرزق، والحياة والموت، والخير والشر، والنفع والضر، والصحة والمرض، وكل ما يقع في الكون، إنما هو من الله وحده لا شريك، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢] ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور: ٤٤] ليسَ له شريكٌ في ملكه، ولا قرينٌ في حكمه، ولا معين في تصريف أموره، ولا قاضٍ لحوائج عباده إلا بإذنه ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩].

---

(١) كما يقول المعتزلة ومن وافقهم.

* قال ابن القيم رحمه الله في هذه الآية: «يغفر ذنبًا، ويُفرِّج كربًا، ويَكشف غمًا، ويرفع همًا، وينصر مظلومًا، ويَأخذ ظالمًا، ويُعطي محرومًا، ويَشفي سقيمًا، ويُغني فقيرًا، ويُفْقر غنيًا، ويُجْبر كسيرًا، ويفك أسيرًا، ويُقيل عثرة، ويَستر عورة، ويُعز ذليلاً، ويذل عزيزًا، ويذهب بدولة، ويأتي بأخرى، يسوق المقادير الَّتي قَدَّرها قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة إلى مواقيتها، فلا يتقدم منها شيء عن وقته ولا يتأخر، بل يقعُ كما سبق به علمه، وأحصاه كتابُه، وخطَّه قلمُه، ونفذ فيه حكمه، وقضت به مشيئتهُ، فهو الْمُتَصَرِّف في الكون وحده، تصرفَ مالكٍ قادرٍ قاهرٍ عادلٍ عليم رحيم، لا يُنَازِعُه في مُلكه منازع، ولا يُعَارِضُه فيه معارض، فَتَصَرُّفُه في مُلكه دائرٌ بين العدلِ والإحسان، والحكمةِ والمصلحة والرحمة، لا يَخرج تصرفُه عن ذلك ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴿٥٤﴾ ﴾[1] [الأعراف: ٥٤].

* *

* وأما توحيد الألوهية، وهو: إفراد الله تعالى بالعبادة، فيتحقق بصرْفِ العباداتِ كلِّها لله وحده لا شريك له، سواء ما **يتعلق منها بالقلب**، كَالْحُبِّ، والرجاء، والتوكلِ، والخوف، والرغبة، والرهبة، والخشية، والخشوع، والذِّلة، والتوبة، وغير ذلك، أو **ما يتعلق بالجوارح**، كالصلاة، والصوم، والحج، والركوع، والطواف، والنذر، والذبح، والدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، وغير ذلك، فمن توجَّه لأحدٍ غيرِ الله بعبادة لا يَقدر عليها إلا الله فقد كفر.

* ويلحقُ بذلك، من ظنَّ أن غيرَ الله يعلم غيبًا، أو يملك نفعًا أو ضرًا.

* *

* ويدخل في هذا الأصل موالاة المؤمنين، والبراءة من الكافرين، فمن والى الكافرين فيما يضر الإسلام والمسلمين فهو منهم، لقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ [المائدة: ٥١].

---

(١) طريق الهجرتين بتصرف يسير.

* كما يدخل فيه الحكم بما أنزل الله، فمن حكم بغير ما أنزل الله مع رضاه به، وقدرته على تركه، فقد نقض توحيد الألوهية.

* *

* هذا وتأخذ الْوَسَائِلُ عند أهل السنة حكم الغايات، فمن سلك طريقًا إلى طاعةٍ، فهو في طاعة مِنْ ساعة أن يَسْلكه، ومن سَلَك طريقًا إلى معصيةٍ فهو في معصية من لحظة أن يَدْخله، لذلك حَرَّموا ما حرَّمه الله ورسوله، من الوسائل التي تؤدي إلى الشرك، ومنها، الْحَلِفُ بغير الله، والْغُلُوُّ في الأنبياء والصالحين، ودفنُهم في المساجد، وبناءُ القباب على قبورهم، وشدُّ الرحال إليها، وإنارتُها، والطوافُ بها، والصلاةُ إليها، وإقامةُ الموالد، لَهُمْ والتوسلُ بجاههم، والتبركُ والتمسحُ بِذَواتهم أو بآثارهم، وتعليقُ التمائمِ والأحجبةِ والحروزِ، جَلْبًا لِلْخير، ومنعًا للشر، والذِّهابُ للعرافين وسُؤالُ الْمُنَجِّمين، وأمثالُ ذلك مِمَّا حرمه الله ورسوله.

* *

* ومن أصول أهل السنة والجماعة، الإيمان بالملائكة ويتحقق، بالتصديق بهم إجمالاً، وبِمَا وَرَدَ من أسمائِهم وأحوالهم تفصيلاً، بِحَسَبِ طاقة المكلَّف وجُهده وعلمه.

* *

* ومن أصولهم الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على رسوله ﷺ، ويتحقق، بالإيمان بها إجمالاً، وبِمَا وَرَد منها في القرآن تفصيلاً، مَعَ اعْتِقادِ أنَّ كلَّ الكتب السماوية السابقة على القرآن قد حُرِّفت وبُدِّلت، وأن القرآن قد نَسخَها كلَّها، وأنَّه لذلك يجب اتِّباعُه دون غيره، وتَحْكيمُه دون سواه، والإذعانُ لِمَا قضى به من أحكام، وتصديقُ مَا قصَّهُ عن الأمم السابقَة واللاحقة، ومَا أخْبَرَ بِهِ عَنِ الْجِنِّ والغيب، وغيرُ ذلك مِمَّا وَرَدَ في القرآن، فإنه من عند الله حرفًا حرفًا، وكَلِمَةً كَلِمة، لأنه كلام الله حقيقةً، لَيْس بِحَادِثٍ ولا مخلوق، ولَيْس كلامُه النّفسي،

بل تكلم به بحرفٍ وصوت يَليقان بمَقامه، وسَمِعَه منه جبريل، وسمعه منه رسُله، كما قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤].

❊ ❊

❊ ومن أصولهم الإيمان بأنبياء الله ورسله ويتحقق بالتَّصْديق بهم إجمالاً، وبمَا وَرَد منهم في القرآن تفصيلاً، بِحَسَب عِلْم المكلف، وأن الله تعالى أرسلهم مبشرين ومنذرين، وأنهم صفوةُ الخلق، وخِيارُ الْبَشر، وأنهم مَعْصُومُونَ من الكبائر قبل النبوة وبعدها،، ومعصومون من الكبائر والصغائر بعدها، وأن أفضلهم وخاتَمَهم محمداً ﷺ ، وأنَّ الْوَحْيَ قد انقطع بموته، فهو خاتم النبيين، إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، وأنه ﷺ أُوتِيَ القرآنَ ومثلَه معه، وهي السُّنَّة التي أُوحِيَت إليه، مَنْ أنكرها فقد كفر، وأنَّه لَمْ يُخْلَق من نور، ولم يكتب اسْمُه على العرش، ولم يَخْلُقِ الله الدنيَا لأجله، وأنه لا يملك لنفسه ولا لِغَيرِه نَفعًا ولا ضَرًّا، إلا أن يشاء الله، ولا يعلم الغيب إلا مِمَّا علَّمه الله، وحَسْبُه أنَّه أكرم الخلق وسيدهم، وأحَبُّهم إلى الله، وأقربهم منه.

❊ ❊

❊ ومن أصول أهل السنة والجماعة الإيمانُ باليوم الآخر، وهو يومُ القيامة، ويتحقق بالإيمان بما يَسْبِقُه من علامات، وبِمَا صَحَّ فيه من أخبار، كضَمَّةِ القبر وسؤاله، ونعيمه وعذابه، والبعث بعد الموت، والحشر، والنشر، وصحائف الأعمال، والشفاعة، والعرض، والسؤال، والنجوى، والحوض، والميزان، والصراط، والأعراف، والكرسي، والعرش، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وأن النعيم والعذاب بالروح والجسد، وأن أهلَ الجنة يَرَوْنَ ربَّهم عيانًا بيانًا، فإذا بِه أعظم النعيم، ويُكلمهم ويُحَيِّيهم، ويُحل عليهم رضوانَه، فلا يَسْخَط عليهم أبد الأبدين.

❊ ❊

* ومن أُصول أهل السنة والجماعة: الإيمان بالقدر خيره وشره، حُلوه ومُرِّه، وأنه من الله تعالى عِلْمًا، وكتابَةً، ومَشيئةً، وخلقًا.

* فالله علم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وشاء أن يقع وَفْقَ عِلمه ومشيئته، فما شاء كان وما لَمْ يشأ لم يكن، وأنه سبحانه خالقُ كل شيءٍ، خلق العبادَ وأعمالَهم، وخلق الخيرَ وأمرَ به ودَلَّ عليه، وخلق الشر وحذّر منه ونَهَى عنه، ولله الحكمةُ البالغةُ، فيما يخلق، وفيما يفعل، وفيما يريد، وكلها خير أكيد، لكن المكروهات من المخلوقات لا تضافُ إلى الله مفردة، فلا يقالُ خالق الشر، ولا يقال خالق القِرَدَةِ والخَنَازِير، بل يقال: الله خالق كل شيء، وهكذا.

* *

* ومن الإيمان بالقدر، أن الله تعالى خلق للعبد حُرِّيَّةً واختيارًا فيما يقول وفيما يفعل، ولذلك كان مَسْؤُولاً عنه، فهو يطيع بإرادته، ويَعْصي بإرادته، وكل ذلك بمشيئة الله ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٩].

* *

* ومع ذلك فالله سبحانه يمحو ما يشاء ويُثْبت من الأقوال والأفعال، فقد يُصبح الرجلُ مؤمنًا، ويُمسي كافرًا، فالله يهدي من يشاء بفضله، ويُضِل من يشاء بعدله، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت: ٤٦].

* *

* ومن أصول أهل السنة والجماعة، الإقرار بأركان الإسلام والعمل بها، وهي: النطق بالشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام.

* *

* ويعتقدون أن الإيمان يزيدُ بالطاعات، ويَنْقُص بالمعاصي، وأن الأصل في جميع المسلمين سلامةُ القصدِ والمعتقدِ وَحَمْلُهم على المْحَمْلِ الحسن، ولذلك فهم لا يُكفِّرون أحدًا من أهل القبلة بذنب، إلا إذا أتى بمُكَفِّر أجمع عليه العلماء.

* ولا يَجْزِمون لأحدٍ من المؤمنين الصالحين بالجنة، فإن ماتَ على الإسلام مُجتَنبًا لِلْكبَائِر، فهو في وعْدِ الله له بالجنة، والله لا يُخلف الميعاد.

* ولا يَقْطَعُون على أحدٍ ماتَ على المعاصي بدخول النار، بل هم في مشيئة الله، إن شاء أخَذَهم بِعَدله، وإن شاءَ رَحمهم بفضله.

* *

* ويُؤْمِنون بوَلاية الله للعبد، وولاية العبد للرب، ومعنى ولاية العبد لربه، أن يؤمن به ويُوَحِّدَه وأن يطيع أوامره، ويجتنب محارمه، ويتقيه في كل أموره، ومعنى وَلاية الله للعبد، أنه إذا آمن به واتَّقاه، تولاه بحفظه ونَصْرِه وتوفيقه، وفي كل مسلم وَلاية بقدر ما فيه من الطاعة.

* *

* ويؤمنون بكرامات الأولياء والصالحين والمتقين، وما يجري على أيدي بعضهم من خوارق العادات، كما وقع لأهل الكهف، ولِكثِير من السابقين واللاحقين.

* ولكنْ لَيْسَ كلُّ أمرٍ خارقٍ للعادة كرامة، فقد يكون استِدْرَاجًا للمبطلين، وقد يكون من عمل السَّحرة والشياطين.

* *

* والأولياء وأصحاب الكرامات لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا ولا يعلمون غيبًا، وقد تُسْلَب من بعضهم الكرامة لِعَدَمِ وفائهم بحقها، وقد يموت أحدهم مغضوبًا عليه والعياذ بالله، ثم إنهم ليسوا مَعْصومين، فإن الذنوب تقع منهم، فإن أحْدَثُوا لَهَا توبة، أكرمَهم الله بالمغفرة.

* *

* ويؤمنون بالبركة، وهي كثرة الخير، ماديًا كان أو معنويًا، فقد تكون رزقًا بارك الله فيه، وقد يكون عملاً صالحًا وفَّق الله إليه وضاعفَ أجره.

*والْتِمَاسُ البركة يكون بالعمل الصالح مع الإخلاص لله، وبالاقتداء بالأنبياء والصالحينَ والتَّعلّم من العلماء العاملين.

*أما التمسح بهم وبآثارهم فهو باطل وحرام، لأن البركة ليست سلعة تُوَزَّع، بل هي فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده.

* *

*ويؤمن أهل السنة والجماعة، بأن تقسيم الدين إلى حقيقة يَتَمَيَّزُ بها الخاصة، وشريعةٍ يَتَّصف بها العامة، من التَّقَوُّل على الله ورسوله، فالدين هو الدين، حَقيقَةً وشريعة معًا، ليس فيه باطن ولا خفي، وكل مسلم مكلف بالعمل بكل ما جاء به محمد ﷺ قدر المستطاع.

* *

*ومن أصول أهل السنة والجماعة، أن يكون للمسلمين إمامٌ، يَتَّصِفُ بِمَا يَلْزم من العلم الشرعي، والعدالة، وحسن السياسة، وسَلامَة الحواس، ويَجبُ لَهُ السمع والطاعة ما لمْ يأمر بمعصيةٍ، فإن أمَرَ بمعصية فلا سمعَ له ولا طاعة.

*ومع ذلك فلا يجوز الخروج عليه، وإثارةُ الفتن من حوله، ما دام يحكم بالعدل والإنصاف.

* *

*ومن أصولهم اعتقادُ أن الجهاد فرضٌ ماضٍ في أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة، لا يَمنَعُ منه جَوْرُ جائر أو عَدْلُ عادل، وأنه ذُرْوَةُ سَنَام الإسلام، وحِصْنٌ للدين، وأمان للمسلمين، فضلاً عن أنه مرضاةٌ لِرَب العالمين، وأنَّه مَنْ مات ولم يغزُ ولم يحدث نَفْسَه بِغَزْوٍ مَاتَ على شُعبة من النفاق، ولا يكون الجهاد إلا مع أئمة المسلمين أبرارًا كانوا أو فجارًا، اللهم إلا إذا دخل العدوُّ بلدًا من بلاد المسلمين فيجب الجهاد على أهله جميعًا ولوْ لم يأمرهم الإمام به.

* ومن أصول أهل السنة والجماعة، سلامةُ قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، والتَّرضِّي عليهم، والدعاء لهم، ومعرفة قدرهم ومنزلتهم فإنهم خير القرون، وأفضل الخلق بعد الأنبياء، فلا يَنْبَغِي التطَرُّق إلى ما يؤدِّي إلى انتقاص أحدٍ منهم، مثل ما يَقَع فيه البعضُ من إساءة إلى أحد الفريقين الَّذَيْنِ وقع بينهما قتال، وإن كان لابُدَّ من ذلك، فيكون بالأدب معهم، لا بالحكم عليهم حكما غير صحيح، فإنهم ليسوا بمعصومين من الكبائر، وقد وعدهم الله الجنة مع عِلْمِه بما يكُون منهم من ذنوب، فقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾ [التوبة: ١٠٠].

* *

* كذلك فإن أهل السنة يُحِبُّون أهل بيت رسول الله ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ التي رواها مسلم عن زيد بن أرقم: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بيتي».

* *

* وَيَتَوَلَّوْن أمهاتِ المؤمنين أزواجَ رسول الله ﷺ الطاهرات المطهرات، الْمُبرَّءَات من كل عيب وشَيْن، اللائي أذهب الله عنهن الرجس وطَهَّرَهُنَّ تطهيرًا، مع الإيمان بأنَّ أهل البيت لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا.

* *

* ويتبرأون من الروافض الذين يرفضون إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وَيُبْغِضُونَ معظمَ الصحابة الكرام، ويرفضون السير على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابُه الأعلام.

* *

* ويتبرأون كذلك من النواصب، وَهُمُ الذين يُنَاصِبون أهلَ بَيْتِ النبي ﷺ الكراهية والعداء.

* *

* ومن أصول أهل السنة والجماعة في استْباط الأحكام الشرعية، اتِّباعُ آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباعُ سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتِّباعُ وصية رسول الله ﷺ حيث قال فيما رواه الترمذي عن العرباض بن سارية: «**عَليكم بسُنَّتي وسنةِ الخلفاء الراشدين الْمَهْديين من بعدي، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثَاتِ الأمور فإن كلَّ بدعة ضلالة**».

* *

* وَيَعلَمُون أن أصدقَ الكلام كلامُ الله، وخيرَ الهدي هَدْيُ محمد ﷺ، وَيُؤْثِرونَ كَلام اللهِ على كلام الناس، وحُكْمَ الله على حكم الْبَشر، ويُقَدِّمون هَدْيَ محمد ﷺ وحكمَه على كل هَدْي وحُكم، ولذلك سموا أهل الكتاب والسنة.

* *

* ويأخذون بإجماع الأمة على أحكام دينها، لأنها لا تَجْتَمع على ضلالة، ولذلك سُمُّوا أيضًا بالجماعة.

* *

* ومن طريقة أهل السنة نَبْذُ الفُرقة في الدين، والجدالُ فيه، والخصومةُ في القدر، والمِراءُ فيما تشابَه من نصوصِ الشريعة، وفيما شجَرَ بين الصحابة، وَفي كلِّ مَا لا فَائدة فيه، ويُؤَدِّي إلى الفُرقة والخلاف، وربما إلى الفسوق والعصيان، اللَّهُم إلا إذَا كان الجدالُ لإحقاقِ حقٍّ، وإبطالِ باطل، ويجب أن يكون حينئذ بالتي هي أحسن.

* *

* ومن طريقَـةِ أهل السنة والجمـاعـة، وجوبُ نصـح الأمة، والأمـرُ بالمعـروف، والنهيُ عن المنكر عَلَى مَـا تُوجِبُـه الشريعـة، وأنه من أعظم شعـائر الإسلام، ومن أسباب بقائه وقُوَّتِه.

* *

* ثم إنهم يَدْعون ويَحرصُـون على التَّحليِّ بمكارم الأخلاق، وحميـد الصفات، وفعل الخـيرات، وترك المنكَرَات، واجْتِناب الشبـهات، وَيَسْتَمْسِكُون بالصبـر عند البلاء، والشكر على الرخاء، والرِّضا بمُرِّ القضاء.

* *

* وصـفهم البـغـدادي رحمـه الله[1]: بأنَّهُمُ الَّذين أبْصَـروا فأقْصَرُوا، واخْتُبِـروا فاعْتَبـروا، ورَضوا بالمقدور، وقَنَعـوا باليسير، وعَلِموا أن الـعبد مسئـول عن الخير والشر، ومُـحَاسبٌ على مَثَـاقِيل الذر، فَأعَدُّوا الزَّاد لِيَـوم المعاد، لا يعملون الخـير رياءً، ولا يَترُكُونَه حيـاء، دينُهم التوحيد، ومذهبُهم التفويضُ إلى العـزيز الحميد، يتوكلون عليه، ويُسَلِّمون الأمورَ إليه، ولا يعْتَرِضون عليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

* *

* وأهل السنة في كل ما يقولون ويفعلون، فإنما هم فيـه مُتَّبعون للكتاب والسنة، وطريقتهم هي دين الإسلام، الذي بعث الله به محمداً عليه الصلاة والسلام.

* *

* لَكِنْ لَمَّا أخبـرَ النبي ﷺ، أن أمته ستفـترق على ثلاثٍ وسبعين فـرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة التي ستظل على مثلِ ما كان عليه وأصحابه، صار الْمُسْتَمْسِكون بالإسلام الخالص الْمُصَفَّى من الشَّوائِب، هم أهل السنة والجماعة

(١) الفرق بين الفرق.

بقيادة سلفهم الصالح، أعلامِ الْهُدى، ومصابيحِ الدُّجَى، أولى المناقب المذكورة، والفضائلِ المأثورة، وهم الطائفة المنصورة، الذي قال فيهم النبي ﷺ فيما رواه مسلم عن ثوبان ومعاوية رضي الله عنهما: «ولن تزال طائفةٌ من أمتي على الحقِّ منصورة لا يضرُّهم من خالفهم ولا من خذَلهم حتى تقومَ الساعة».

* *

* نسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد أن هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.

* *

هَذا وَيدخلُ في نطاق أهل السنة والجماعة، بالمعنى العام الأشَاعرة والماتريدية وبعضُ الصوفية

الأشاعرة[1]

* هم أوسع مدارس الفكر الإسلامي انتشارًا ونفوذًا، إذ يُدَرَّس مَنْهَجُهم في معظم المؤسسات الدينية في أكثر الدول الإسلامية، وهم يُوافقون أهل السنة في أكثر المسائل ويخالفونهم في بعضها، فأخطأوا في ذلك خطأ المجتهد المعذور فيمَا أخطأ فيه. إلا من تبيَّن له الحقُّ وعَلِمه ولَمْ يَأخُذْ به، فَلا عُذرَ له، وأمره إلى الله.

* وأهم ما خالفوا فيه أهل السنة:

* تأويلُهم لِمُعْظَمِ صفات الله عز وجل، تأويلا خالفوا فيه سلف الأمة، كتفسير اليد بالقدرة، والاستواء بالاستيلاء، ونزول الله، بنزول الرحمة، وهكذا، وبعضهم يسكت عنها، أو يُفَوِّض معناها، فَلا يُثْبِتُها ولا يَنْفِيها. فيقولون مثلاً: نحن لا نعلم المراد باليد أو الاستواء، أو غير ذلك من الصفات، فينفي ما أثبته الله تعالى لنفسه.

* *

* قولهم: إن القرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة، هي كلام الله النفسي، لم يَنْطِق به سبحانه، ولم يَسْمَعْه منه أحد، وإنما خلقه وألْقاه في قلوبِ مَنْ أوحَى إليهم به، ومعنى هذا أن الله لم يكلِّم محَمَّدًا، ولم يُكَلِّم موسى تكليمًا، ولم يُكَلِّم أحدًا

(١) نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري المولود بالبصرة سنة ٢٧٠هـ وكان من المعتزلة، ثم تركهم ووضع منهجًا جديدًا لم يَسْلَم فيه من التأثر ببعض أفكار المعتزلة، ثم عاد قبل موته إلى مذهب السلف من أهل السنة والجماعة وله في ذلك كتب منها «الإبانة في أصول الديانة»، و«مقالات الإسلاميين»، ويطلق الأشاعرة على الَّذين يَتَبَنَّوْن مذهبه في مرحلته الثانية.

من خَلْقِه، وقد أثبت سبحانه لنفسه الكلام بالقرآن، والسنة فقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤] وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦] وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

* *

* وعموماً فإن الأشاعرة تُنْسَبُ إلى أهل السنة بالمعنى العام أيْ في مقابل الخوارج والشيعة والمعتزلة.

* *

* وهم كما قال ابن تيمية وغيره: فيهم علماء كبار، وأئمة أخيار، ولهم جهود مشكورة في الدفاع عن السنة، وفَضْحُ الفرق الأخرى، وكشف ضلالهم وإنهم لَيُحْمَدون على مواقفهم في الدفاع عن السنة والحق في وجه الباطنية والرافضة والمعتزلة، وهم وإن أخطأوا فإن لهم حسنات، وهي على نوعين، إما حفظُ السُّنة والحديث، وإما الرَّد على مَنْ خالف السُّنة والحديث، وما مِنْ أحدٍ إلا ويخطئ ويصيب[1].

* *

(١) راجع الموسوعة الإسلامية الميسرة.

المـاتُريدِيَّة

* تنسب الماتـريدية إلى أبي منصـور المـاتريدي المولود في أواخـر القـرن الثـالث الهـجري، وكـان مـعاصـراً لأبي الحسن الأشعـري ومـعظم الماتريدية ينتـسبـون للمذهب الحنفي(١)، وقد خالَفَ الْمُتأخرون منهم أهل السنة في أمور مهمة.

* *

* منهـا: إنـهم يُقَـدِّمـون العـقل على النقل، إلا إذا كـان النقل قَطْعِيَّ الـثُّبُـوتِ والدَّلالة، ولا يُعَارِض العقل، ولذلك قالوا بأن مـعرفة الله ثابتة بالعقل وَلَوْ لَمْ يأت بها شـرع، والإنسان مكلف بذلك مسئول عنه، ومعنى ذلك: أنه لا حـاجة إلى إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ولا معنى لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥].

* *

* ومنهـا: أن أحـاديث الآحـاد(٢) لا تفـيـد اليـقين، ولا يعـمل بهـا في الأحكام الشرعية مطلقاً، ومعنى هذا أن تسقط معظم الأحكام الشرعية، لأنها جاءت عن طريق أحاديث الآحاد.

* *

* ومنهـا: القـولُ بِخَلْقِ القـرآن والكتب السـمـاوية، وأنه كـلام الله النَّفسي، لم يَسْمعه أحـد من الله، وإنما ألقـاه في قلوب من شاء من خلقـه، وقد سَبَقَ بُطْلان ذلك عند الحديث عن الأشاعرة.

* *

* ومنهـا: أن الإيمان هو مُجَـرَّدُ التصـديق بالقلب فـقط، لا دَخْلَ للقول والعـمل فيه، فَمَنْ آمن بقلبه دون أن يشهدَ بلسـانه، أو يعملَ بجوارحه فهو نـاجٍ، لا يُخَلَّد

(١) كان أبو حنيفة وأصحابه على مذهب السلف.

(٢) حديث الآحاد ما رواه العدد القليل، قيل: أربعة، وقيل خمسة، وقيل: ما دون العشرة.

في النار، وهذا باطل، لأن معناه، أن إبليس من الناجين، والذين كانوا يُصَدِّقون رسول الله ﷺ بقلوبهم ومنهم عمه أبو طالب من الناجين، وهذا غير صحيح.

※ ※

※ ومنها: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، مخالفين بذلك النصوصَ الصريحة من الكتاب والسنة، وذلك يفيد بأن إيمان الرسل والأنبياء كإيمان سائر الناس.

※ ※

※ وعَلَى أيِّ حالٍ فإن لِعُلَماء الماتريدية جهوداً مشكورة في خدمة كتب الحديث، وفي الرد على المعتزلة والباطنية والفلاسفة والملحدين، والشيعة وغيرهم.

※ ※

※ ومَنِ اجْتَهد منهم فأخطأ فهو معذور، ومَنَ ظهرَ له الحق فَلَمْ يذعَنْ له، فليس بمعذور، والأمر يومئذ لله.

※ ※

الصـوفية

* يدخل في نطاق أهل السنة والجماعة: الصوفية، الذين لا يَدْعُونَ إلا الله، ولا يستغيثونَ بغيره، ولا يطلبون الْمَدَدَ مِنْ سواه، ولا يستعينون إلا به، ولا يتوكلون إلا عليه، ولا يتخذون بينهم وبينه وسائط لكشف ضُرٍّ أو جَلْب خير، حتى ولَوْ كانوا يعتقدون في الله وحده، لأنه أقرب إليهم من حبل الوريد.

* *

* كذلك الذين لا يَتَبَرَّكُون بالآثار والأشخاص، اعتقادًا منهم في نفعها أو ضرها، ولا يدفنون الموتى في المساجد، ولا يَبْنُون أضرحةً عليها، ولا يَشُدُّون الرحال إليها، ولا يذكرون الله بالرقص والدُّفوف، ولا يؤمنون بعصمة شيوخهم أو يجزمون بولايتهم، ولا يُقدِّسونهم ويَغْلون فيهم، ولا يُلقُون أنفسَهم بين أيديهم كالميِّت في يَدِ مُغَسِّله يفعل به ما يشاء، ويوجهه كما يريد، ولا يقولون بِكَشْفِ الحجاب عنهم أو عن غيرهم، ولا يَتَعَلَّقُون بالتمائم والأحجبة والحروز، ولا يَغْلُون في النبي ﷺ إلى ما يُقارب اشتراكه مع الله تعالى في النفع والضر، وإلى اعتقاد أنه يلتقي يَقَظَةً مع البعض، وأنه يحضر مجالس الذكر، إلى غير ذلك مما يعتقده ويفعله بعض المتصوفة، على عكس مما كان عليه السادة الأوائل، كالجنيد، والداراني، وابْنُ الحواري، والكرخي، والجيلاني، وغيرهم، مِمَّن كانوا على طريق الهدى والخير والسنة.

* *

* وَعَلَى أيِّ حال فإن الصوفية أنواع.

* فَمَنْ كان منهم على السنة قولاً وفعلاً، فهو من أهل السنة، ومَنْ كانَ منهم على البدع، فإن كانت **بدعًا في أصْل العقيدة**، كدعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهو خارج من الجماعة مطلقًا.

* وإن لم تكن في أصْلِ العقيدة ففيه من أهل السنة بقدر ما وافقهم فيه، وحكمه إلى الله، وهو خير الحاكمين.

* هذا، ولابُدَّ أن نتحدث عن المعتزلة والجبرية والمرجئة، وهي من الفرق الَّتي لا عَلاقة لها بأهل السنة أبدًا، ولم يَعُد لها كيان واحد، ولكن تَسَرَّبت كثير منْ أفكارهم إلى سائر الفرق الأخرى، حتَّى لقد أصاب بَعْضُها نفرًا منَ المنسوبين لأهل السنة.

المُعتزلة

* نَشَأت هذه الفرقة في أوائل القرن الثاني الهجري، وبرزتْ على يَدِ واصل بن عطاء الذي كان تلميذًا للحسن البصري رحمه الله، ثم وقعت منه مخالفات للجماعة، ولَمَّا لَمْ يجدْ منَ الْحَسنِ قبولاً لِقوْله، اعْتزَلَه، ومضى يَنْشُرُ أفكاره التي قام على أساسها مَذهبُ المعتزلة.

* **وأهمها:**

* نَفْيُ صِفات الله تعالى نَفْيًا مُطْلَقًا وإنكارُها، واعْتِبَارُ صِفاتِه عَيْنُ ذاته، فليس له يَدٌ ولا وجه ولا عين، فَيَدُهُ ذاتُه، وَوَجْهُهُ ذاتُه، وعَينُه ذاته، وهكذا، وأنه سبحانه لا يتكلَّم، ولا يَنْزِل، ولا يَعْرُج ولا يَفْرح ولا يَغضب ولا يرضى، وليس مُسْتوٍ على عرشه، فَنَفَوْا بذلك ما أثْبَتَه الله تعالى لنفسه، وما أثْبَتَه له رسوله ﷺ من صفات.

* *

* قالوا: إن القرآن الكريم والكتب المنزلة مخلوقةٌ، لم يَسْمَعْها أحدٌ من الله بحرفٍ أو صوتٍ، ولم يكلِّم بِهَا أحَدًا من خلقه، وإنَّما ألْقى مَعَانيها في قلوبِ من أوحى إليهم بِها، وإنَّما قالوا بذلك، لأنهم يَنْفُونَ عَنِ الله تعالى صِفَةَ الكلام.

* *

* وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ما ذُكِرَ في الكتب المنزلة من أحداثٍ وأحوالٍ، وإيمانِ

مَنْ يؤمن، وكفرِ من يكفر، لَيْسَ لله علمٌ سابقٌ بها، والعبادُ يخلقون أفعالهم، دون مَشيئَةِ الله، لأنَّه لا يحب الكُفر ولا الشر، فَلَوْ عَلِم أنَّ العبدَ سَيكْفُر أو سَيَعْصي لَمَنَعه من ذلك، ولَوْ تركه لَوقع في مُلْكِه ما لا يريد، وهذا مُحَالٌ.

* وهو من أبطل القول، لأن الله تعالى خلق كل شيء وقدره تقديراً، وعلم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾ [التكوير: ٢٩].

* *

* يقولون بِعَدم رُؤية الله تعالى في الجنة، مع أن الله تعالى يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]

* *

* يقولون بِوجوبِ الخروج على الحاكم وقتالِه، إذا خالَف الشرع، وانحرف عن الحق.

* *

* لايأخذون بأحاديث الآحاد مطلقًا لا في العقائد ولا في الأحكام، مع أن أحكام الشريعة قامت على أحاديث الآحاد.

* *

* يقدسون العقل، ويُقَدِّمونه على النقل، بحيث لَوْ تَعَارَضَ النقل مع العقل أُوِّلَ النص ليتمشى مع العقل!

* *

* وقالوا: إن الإنسان مكلف بالعقل، ومسئول عن الخير والشرَ، حتى ولم يُرْسَل إليه رسول.

مُعْتَزِلَةُ الْيَوم

* هذا ونُنبِّه إلى أن مدرسة الاعتزال العقلية، يَتَبنَّاها في كل جيل مَنْ لا حَظَّ لهم من نور الشريعة، ومَنْ وَهَنَتْ صِلَتُهم بِأحكامِ الله.

* *

* ويُوجد في عصرنا الحاضر مَنْ ينادي بالفكر الاعتزالي في تَقْدِيسه للعقل، وتحكيمه في قضايا الشِّرع، وفي مقدمتهم العلمانيون، وأَهلُ الحداثةِ والتنوير؛ محاولين بذلك تغيير الأحْكام الشرعية، التي ثبتت بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، مثل عقوبة المرتد، وفريضة الجهاد، والإرث، والحجاب، وتعدد الزوجات والطلاق، وحقوق المرأة... إلخ.

* ويطالبُ هؤلاء ويُلحُّون بإعادة النظر وتحكيم العقل في ذلك وغيره، وقد حققوا نجاحًا ملحوظًا في بعض الدول الإسلامية التي غيرت بعض أحكام الله، فباءوا بغضب على غضب، ولهم عند الله عذاب مهين.

* *

* وَيَزْعُمُ هؤلاء أنهم يَهْدِفونَ إلى أن يَظْهَرَ الإسلام بالمظهر المقبول عندَ الغربيين، وغابَ عنهم أنه دين الله الحكيم الخبير الذي خلق الخلق وهو أعلم بِمَا يُصْلِحُهم ويَصلُح لهم، ﴿ومَنْ أَحْسَنُ من اللَّه حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

* *

* إنَّ هؤلاء وأمثالَهم مُشَاقُّون لله ورسوله، مُتَّبعون غيرَ سبيل المؤمنين، داخلون في قول الله تعالى: ﴿ومَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

* *

* فخذ حذرك أيا المسلم من هؤلاء الضالين.

الْجَبْرِيَة

* ظهرت هذه الفرقة في أوائل القرن الثاني الهجري، وانتشرتْ على يَدِ الْجَعَدِ ابنْ درهم.

* وأساسُ مذهبهم، أنَّ العبد مَجبُورٌ عَلَى فِعْلِ ما يفعله، ولا دَخلَ لَهُ فيه، فقد أجبَرَهُ الله على الطاعة، وأجبره على المعصية، ولا قدرة لِلْعَبدِ ولا اختيار فيما يقول وفيما يفعل. فهو كَرِيشَةٍ مُعَلَّقَة في الهواء، تُسَيِّرها الريح كما تشاء، ومن ثَمَّ فهو غيرُ مسئولٍ عمَّا يقول وعمَّا يفعل، فَالْكَافرُ غيرُ مَسْئولٍ عن كفره، والعاصي غير مَسْئُولٍ عن مَعصيته.

* *

* وهذا الاعتقاد كفرٌ صريح، لأنه يُنَاقِضُ نصوصَ الكتاب والسُّنَّة، ويؤدي إلى القول بأن إرسال الرسل، وإنزال الكتب، والثواب والعقاب، والجنة والنار، كان عَبَثًا، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيراً.

* ويؤدي كذلك إلى إبطال التكاليف، وشُيوعِ الفاحِشةِ والفسادِ في الأرض، فما دامَ الإنسانُ غيرَ مسئول، فَلْيَفْعَلْ ما يشاء، دون رقيب ولا حسيب.

* وهذا من أفْسَدِ الاعتقاد وأكفره، فاحذره أيها المسلم حتى تكون من الناجين.

الْمُرْجِئَة

* ظهرت هذه الفرقة في منتصف القرن الثاني الهجري على يَد الجَهْم بن صفوان، وسُمُّوا مُرْجِئَة لأنهم يُؤَخِّرون العمل عن الإيمان، والإرجاء هو التأخير.

* *

* وقد اختلفوا فيما بينهم، فمنهم مَنْ قال: إن الإيمان هو التَّصديقُ بالقلب فقط، فمن صَدَّق بقلبه، ولم ينطق بالشهادتين بلسانه، ولم يعملْ شيئًا من التكاليف بجوارحه، فهو ناجٍ، وعلى هذا يكون إبليس، ومعظمُ كفار قريش الذين كانوا

يصدقون النبي ﷺ بقلوبهم وأمثالهم، مِنَ الناجين.

* ومنهم من قال: إن الإيمان قول باللسان فقط، ولَوْ لَمْ يصَدِّقْ بِقَلبِه، وعلى هذا يكون المنافقون مؤمنين لأنهم كانوا يشهدون شهادة التوحيد.

* *

* وهذا الاعتقاد هدم لقواعد الدين، وخروجٌ على أُصولِ الشريعة. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: اتَّقُوا الإرجاءَ، فإنه شُعْبَة من النصرانية.

* *

* فاحذر أخي المسلم من هذا الاعتقاد الفاسد حتى يسلم لك دينك، وتكون من الناجين.

* *

* تَحَدَّثْنَا عن الْمعتزلة والْجَبرِيَّة والْمُرْجئة، قبل أن نتحدثَ عن الخوارج والشِّيعةِ رَغْم أنهما كَانَتَا أسْبقَ ظُهوراً، لأنَّ هذه الفرق قامتْ عَلَى أسَاسٍ فكْري لا سِيَاسِيٍّ، ولأن كثيراً من الفرق، ومنها الخوارج والشيعة، تَأثَّرت بِبعَض أفكارِها، ذَلِك أن جميعَ الفرقِ كانت تَتَّبعُ السُّبُل، فَالْتَقَى بَعْضُها ببعضٍ، علَى غيرِ الصراط المستقيم.

الخـوارج[1]

* قامت فرقةُ الخوارج على أساسٍ سِيَاسي، وهو الانْتِصار لِخلافة عَلِي رضي الله عنه، ثُمَّ اصْطَبَغُوا بِصِبْغَةٍ دينيَّة، خَالفوا بها ما كان عليه الصحابةُ الكرام، ثم اجتمعوا عَلَى أميرٍ لَهم اسْمُهُ عبدالله بن وهب الرَّاسبي، ونَظَّموا أفكارهم، وأعلنوها وحاربوا من أجلها، فكانت أوَّلَ فرقَة ظهرت في الإسلام.

* *

* وأوَّلُ ظُهورها، أنَّهم كانوا يُحاربون مع عَلِي ضِدَّ مُعاوِية رضي الله عنهما، فلَمَّا كانت مَوْقعةُ صِفِّين وطلب مُعَاوِيةُ التَّحْكِيم، وتم إسناد الحكم في النزاع إلى كبار الصحابة، عَادَ بعضهم إلى معارضته، وطلبوا منه أن يَنْقُض التحكيم فأَبَى، فتوجَّهُوا إلى الكوفة وتَجمَّعوا بها، وكَفَّرُوا المسلمين، وقتلوا بعضهم، وقطعوا الطريق فذهب إليهم عَلِيٌّ لِيُنَاقِشَهم، فإذا بهم يَرْمُونه ومن معه بالكفر، ويطلبونَ

(١) سموا بالخوارج لخروجهم على عليٍّ رضي الله عنه وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا.

منهم العودَة إلى الإسلام بِنَقْض الْعَهْد، ومُواصلةِ القتال، فَرَفَض عليٌّ هذه الشروط، فقاتلوه فَهَزَمهم، وقُتِل أميرُهم، لكنهم تجمعوا مِن جديد، وازْدَادُوا تَعَصُّبًا لأفكارهم، وكفَّرُوا مُعَاوية ومن معه، واستَحلُّوا دِمَاء الفريقين، ودِمَاءَ كلِّ مَنْ لم يُكَفِّرْهم، لا فرق في ذلك بين مُحَارِبٍ ومُسالم، ورجلٍ وامرأة.

* *

* قابَلوا يومًا عبدالله بنَ خَبَّاب بنَ الأرَتِّ، ومعه امرأتُه وهي حامل، فقالوا له: ما تقول في عثمان وعلي؟ فأثنى عليهما خيرًا، فقتلوه، وبقروا بطنَ امرأته.

* *

* ثُمَّ بلغَ بهمُ الإجرامُ مداه، حين أرسلوا واحدًا منهم، اسمُه عبدالرحمن بن مُلْجم، فاغتال عَلِيًا ﷺ وهو يُصلي في المسجد، فمضى إلى ربِّه شهيدًا.

* *

* وإن شئت أن تعرف مَدى مَا وصَلُوا إليه من ضلال فاقرأ هذه الأبيات التي قالوها في ابن ملجم بعد أن قتل عليًا ﷺ:

يا ضَربَةً من منيب ما أرادَ بها ... إلا لِيَبْلُغ من ذِي العرش رضوانا
إنِّي لأذكُرُه يَوْمًا فأحْسِبُه ... أوْفَى الْبَرِيَّة عند الله مِيزَانَا

* *

* بعد مقتل علي ﷺ سَطَعَ نجمُ الخوارج، وحَارَبُوا الدولةَ الأموية، وانْضَمَّت إليهم أعداد كثيرة أُعْجِبتْ بهم، لأنهم كانوا أهل قتال، وفَصاحَة، وعبَادةٍ وزهد في الدنيا وإعراضٍ عنها، وإخلاصٍ لِمَبادِئهم على ضلالها.

* *

* أمَّا كونهم أهل قتال فإنهم مَا كَانُوا ينتهون من معركة، إلا ويبدأون أخرى، ويحرصون على الموت، طلبًا للشهادة في زَعْمهم، وكانَ نساؤهم يَخْرجْن للقتال، ويَحْرِصْن على الموت، وكانت الواحدةُ منهنَّ تخوضُ المعَارك وهي تقول:

أحْمِلُ رأسًا قد سَئِمتُ حَمْلَهْ　　وقد مَلَلْتُ دَهْنَه وغَسْلَهْ

ألا فتىً يحملُ عنِّي ثِقْلَهْ؟

* *

* أمَّا كونهم أهل فصاحة، فإنَّ عبدالملك بن مروان رحمه الله، استْمعَ إلى رجلٍ منهم فأخذ يَبْسُط لَه مذهبَ الخوارج، ويُزَيِّن له أفكارهم، بِلِسانٍ طَلْقٍ، وألفاظٍ بَيِّنَةٍ، ومعانٍ قريبة، قال عبدالملك بعد أن انصرف الرجل: كادَ أن يُوقع في خاطري أنَّ الجنَّةَ خُلقت لهم، وأنِّي أولَى الناسِ بهم، ثم رجعتُ إلى ما ثَبَّتَ الله عَلَيَّ من الْحُجَّة، ووَقَر في قَلبي مِنَ الحق.

* *

* أمَّا كونهم أهل عبادة، فقد أُسِرَ واحِدٌ منهم، فقال حارسُه: ما أَتَيْتُه بطعامٍ بنهارٍ قط، ولا فرشْتُ لَه فرشًا بِلَيلٍ قط، يعني أنه كان صوّامَ النهار، قوّام الليل.

* *

* ويدل على ذلك كلِّه، ما قاله أميرُهم أبو حمزة الشاري وهو يصفهم: شبابٌ والله، غَضَّةٌ عن الشر أعيُنهم، ثقيلةٌ عن السَّعي في الباطل أرجلُهم، قد باعوا لله أنْفُسًا تموت، بأنفسٍ لا تموت، قد خالطوا قيامَ لَيْلهم بصيام نهارهم، مُنْحَنِيَةٌ أصلابهم على أجزاء القرآن، كلّما مَرُّوا بآية خوفٍ شَهِقُوا خَوفًا من النار، وإذا

مَرُّوا بآية رحمة شَهِقُوا شوقًا إلى الجنة، ثم أخذ يصف من قُتِل منهم بقوله: فكم مِنْ عَينٍ في مِنْقَارِ طائر، طالَمَا فاضَتْ في جَوْفِ الليل من خشية الله، وطالَما بكت من خوف الله، وكم من يَدٍ زالت عن مَفْصَلِها طالَمَا ضربَتْ في سبيل الله، وجاهدت أعداء الله، وطالما اعتمد عليها صاحبُها في طاعة الله.

* *

*** وإنَّما ذكرت بعض هذه الخصائص للخوارج المرتدين، وقتلة المؤمنين، لأُبَيِّن أنه لَيْسَ بمَعْسُول الأقوال وظواهِرِ الأعمال يكون الحق، حتى لا يَنْخدع أحدٌ بقول قائلٍ أو فعل فاعل، إلا إذا كان على الكتاب والسنة وبِفهم سلف الأمة، خاصَّةً وأن لِلخوَارج نظائرَ وأشباه في كل زمان ومكان**

* وجَزَى الله نبينا محمداً ﷺ خير الجزاء، فقد نصح الأمَّة، وكان من نُصحه أن حَذَّر من الخوارج وأمثالهم، وبَيَّنَ شُؤْمَ مصيرهم في الدنيا والآخرة.

* ونَكْتِفي بحَدِيثَين، حديثٌ يُبيِّن حكمهَم في الدنيا، وآخر يُبيِّن حكمهم في الآخرة، كما أجمع على ذلك الرَّاسخون في العلم.

* *

* الحديث الأول: روى البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يخرجُ في هذه الأمة قوم تَحقرونَ صلاتكم مع صلاتهم، فيقرأون القرآن لا يُجاوزُ حلوقَهم، يَمْرُقونَ مِنَ الدين كمروُق السَّهْم من الرَّمِيَّة».

* *

* الحديث الثاني: رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن سَهْلِ بن سعد رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إنِّي فَرَطُكُم على الحوض، مَنْ مَرَّ عليَّ شَرِب، ومَنْ

شرب لا يظمأ أبدًا، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفُهم ويعْرِفُوني ثُمَّ يُحَال بيني وبينهم فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تَدْري مَا أحدَثوا بعدك، فأقول: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّر بعدي».

* *

* مَذهب الخوارج

* كانَ الخوارج من البَدْوِ الْخُلَّص، ولذلك كانوا مَحْدُودِي النظر، ضَيِّقِي الفكر، يقفون عند ظَاهِرِ النص ولا يقبلون له بديلاً، وكانوا أهل جدالٍ وتَشَدُّد، يختلفون على كل شيء، ويَتَشَدَّدُون في كل أمرٍ، فكثُرَت بينهُم الخلافات والخصومات، وذهب كلٌّ منهم بِمَا يَرَاه، حتى لقد أباح بعضهم ارتكابَ بعض الفواحش، فتفرقوا إلى أكثر من عشرين فرقة، ذهبت كلُّها، وبقيَ كثيرٌ من أفكارها.

* *

* لقدْ أخذَ الخوارجُ مذهبَ المعتزلة في معظمه، فأنكروا صفاتِ الله تعالى ورؤيته في الجنة، وقالوا بخلقِ القرآن الكريم، وتكفير مرتكب الكبيرة مَا لَمْ يَمُت على توبةٍ نصوح، وزعموا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.. الخ.

* *

* وقالوا: إن أفعالَ العباد خَلْقٌ من الله وكسْبٌ من العبد، وليس لله مشيئة في أفعال العباد.

* *

* وأنكروا عذابَ القبر ونعيمه، والشفاعة، والحوض والميزان، ورؤية الله في الجنة، وكثيراً من الْغَيبيات التي ثبتت بالسُّنَّة الصحيحة، لأنهم لا يأخذون بأحاديث الآحاد.

* *

* وتَطَاوَلُوا على معظم الـصحابة الكرام، وفي مـقدمتهم عـثمان وعليٌّ ومـعاوية وعمرو بن العاص، وغيرهم، فبعضهم يقول بكفرهم، وآخرون يَقولون بِفسْقِهم.

* ماذا بقي من الخوارج؟

* بَقِيَ ويَبقَى من الخوارج، مَنْ يَتَّفق معهم في مبادئهم كلها أو بعضها.

* فمَنْ يُكَفِّر مرتكب الكبيرة، ومن يُفَسِّق أحدا من الصحابة فـهو من الخوارج بشكل أو آخر، ولَوْ زعَمَ غير ذلك.

جماعات التكفير

* هذا وتَسْرِيَ أحيـانًا بعضُ أفكار الخـوارج على بعض الأفـراد والجـمـاعـات، كتكفير الناس بلا دليل، واسْتِباحَة دمائهم وأموالهم، وما جمـاعات التكفير في البلاد الإسلامية عنَّا ببعيد، وما أحدثوه ويُحدِثونَه لا يخفى.

* *

* ولا شكَّ أن هناك أسبابًا أدَّت إلى ذلك، أهمها.

* أن الشريعة الإسـلامية الصَّحيحة لا تَملأ حـياة المجتمع المسلم كما يجب، وإذا وُجِد فراغٌ من الحق ملأه الباطل، والعكس صحيح.

* وأنَّ مناهج التعليم، ووسائل الإعلام، لا تُقَدِّم ما يَكفي ويَشفي.

* وأن الدَّعوة والدعاة فيهما قصور شديد، وخَلَلٌ أكيد.

* *

* ولكن ليس مـعنى ذلك أنْ يأخـذ بعضُ الناس بهـذا البـاطل، فَـيخـرجـون عن المنهج الصحيح، ويَبعُدون كثيرا عما جاء به محمد ﷺ.

* *

* فخذ حذرك أيها المسلم من هؤلاء المبطلين.

الشِّيـعَةُ

* قلنا في التَّمهيد لهذا الكتاب: إن الرسول ﷺ، قدِ انتقَل إلى ربه، ولَمْ يُعَيِّن أَوْ يُوصي بخليفة للمسلمين، بل تركهم يختارون ما يشاءون، فوفقَّهم الله تعالى إلى اختيار أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضي الله عنهم، وكان البعض يَرى أن علياً رضي الله عنه أولى بالخلافة من غيره.

* *

* وانتشرت هذه الفكرة في الولايات البعيدة كاليمن ومصر والعراق وفارس، وتَبَنَّاها أقوامٌ بِجَهْلٍ أو بِحُسْنِ نية، وآخرون بسوءِ نيَّة، واَعتبروا أن مَنْ تَوَلَّى الخلافة قَبْلَ علي مُغْتَصِبٌ لَهَا، مُتَعَدٍّ لحُدُودِ الله، خائنٌ لوَصيَّة رسول الله ﷺ، هُوَ ومَنِ اختاره ورَضِيَ به.

* *

* ورَوَّجوا لهذه الفكرة، وأخذوا يدعون إليها سرا، ووَضعوا لها قواعِدَ وأصولاً ونصوصًا قام على أساسها مذهب الشيعة.

* والشِّيعة كما يقول ابن خَلْدُون رحمه الله: هم الصَّحب والأتباع، ويُطلَقُ في عرف الفقهاء من السلف والخلف على أتباع عِليٍّ وبَنِيه.

* وقد ظهر التَّشيع بوضوح عندما تولى عَليٌّ رضي الله عنه الخلافة، ووقع بينَه وبين بعض المسلمين معارك، ثُمَّ لَمَّا قُتِلَ ازْدَاد التَّشيع نُمُوًّا وظهورًا، وفُوجِئَ المسلمون بأن الذي يقود هذه الحركة رجل من يهودِ اليمن اسمه عبدالله ابن سبأ، أعْلَنَ اعْتناقه للإسلام، لكنه كان منافقًا يعمل على هدمه، وانخدع به بعض الجهلة من المسلمين، وتَبِعه بعضُ الحاقدين على الدين، وكانوا جميعًا وراء مقتل عثمان رضي الله عنه، وإثارة الفتن بين المسلمين.

* *

* على يَد ابن سبأ إذًا، ظهرت فكرة التشيّع، وعن طريقه نَمَتْ، وكان يُهَيِّجُ

الْجَهَلَة عندما قُتِل عَلِيٌّ بقوله: لو أتيتمونا برأسه ألف مرة ما صدقنا موته، وسيعود ليملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلِئَت جوراً، ثم زاد من نُمُوِّ التَّشَيعُ ما وقع على أهل البيت من مظالمَ في عهد بعض خُلفاء بني أمية، وجهلُ بعض المسلمين في الأمصار بحقيقة الخلافة والإمامة.

* *

*إلا أن فكرة التَّشيُّع لم تجد قبولاً كبيراً إلا في بلاد فارس، والعراق. حيث كان أهلها كما يقول المقريزي رحمه الله: مُهيئين لذلك لأسباب تاريخية ونفسية.

* *

*«ذلك، أن فإن الفرس كانوا يَدِينون بالْمُلْك والوراثة في البيت المالك، ولا يعرفون مَعنى لانْتخاب الخليفة. وقد مات النبي ﷺ ولم يترك ولَدًا، فأوْلَى الناس بخلافته أهلُه، وَقَد اعتادَ الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى القداسة، فنظروا من هذه الزاوية إلى أهل بيت النبي ﷺ.

* *

*وإن العراق كان من البلاد التي تزدحم بالآراء والأفكار والمعتقدات من قديم الزمان، وكان لذلك تنشأ فيه المذاهب السياسية والاعتقادية، فَنَما فيه لذلك مذهب التشيع[(١)].

* من عقائد الشيعة

*تَتَفِقّ جميع طوائف الشِّيعَة إلا الزيدية في بعض الأمور، على القول بالإمامة والوصية والعصمة، والرَّجعة، والباطنية، والتَّقيَّة.

* *

*ومعنى الإمامة: أنه لابُدَّ أن يكون للأمة إمام، ولَكِنْ ليس من حقها أن تختار إمامها، لأن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تُفَوَّض للأمة، بل هي ركنٌ من

(١) هذا معنى ما قاله المقريزي في الخطط.

أركان الدين، وحق من حقوق الله، هو الذي يوحي بالإمام إلى نبيه ويُسَمِّيه له.

* *

*والنَّبِي يُوصي به قبل موته، وكلٌّ إمام يُوَصِّي بالإمام الذي يأتي بعده بإلهام يقذفه الله في قلبه، وهذا هو معنى الوصية.

* *

* وقالوا: إن الله قد عيَّنَ للنبي ﷺ عَليا ليكون للمسلمين إمَامًا، والنبي ﷺ قد وَصَّى بِهِ، لَكِنَّ الصحابة تركوا وصيةَ رَسولِ الله، واغتصبُوا الإمامة والخلافةَ من عليٍّ وبَنيه، واَستدلوا على هذا الزعم بقول النبي ﷺ لعلي ﷺ: «أنت مني بمَنْزلَةِ هرونَ مِن مُوسى غيرَ أنَّه لا نَبيَّ بعدي»(١) وقوله: «مَنْ كنت مولاه، فعَلِيٌّ مولاه، اللَّهم والِ من والاه، وعادِ مَنْ عاداه»(٢)، وبِغَيْر ذلك من الأحاديث.

* *

*ولا شَكَّ أن النبي ﷺ قال هذا وأكثرَ منه في علي، لكنه لا يَدُلُّ على أحقيته بالإمامة، خاصَّةً وأنه ﷺ قال في كثير من الصحابة أقوالاً رفعهم بها مكانًا عليًا، خاصَّةً أبا بكر وعمر وعثمان الزُّبير وأبا عبيدة وغيرهم ﷺ، فلِماذَا يأخذون ما قاله ﷺ في عَلِي ويتركون غيره؟

*وهل غاب ذلك عن الصحابة الكرام، فخَالَفُوا بذلك أمرَ رسولِ الله ﷺ؟

*وهل اجتمعوا على ضلالة حين اختاروا أبا بكر ثم عمر ثم عثمان؟ لا يقول هذا إلا مَنْ في قلبه مرض لِدين الله عز وجل.

* *

*وغَالى الشِّيعَةِ في الأئمة غُلُوًّا شديدًا، فقالوا إنهم معصومون من الكبائر والصغائر، ومن الخطأ والنسيان، في طفولتهم وصباهم، وفي مراحل حياتهم كلها، وهذا هو معنى العصمة عندهم.

(١) رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) رواه الطبراني عن عبدالله بن عمر ﷺ.

* وقالوا: أن الأرض لا تخلو من إمام أبدًا، فإن قيل لهم أين هو؟ قالوا: إنه مختفٍ من الظالمين المغتصبين لحقه في الإمامة، وسيرجع ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جَوْرًا، وهذا هو معنى الرجعة.

* *

* وقالوا إن لِكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيلٍ تأويلاً.

* ويقصدون بالظاهر، ما جاء به محمد ﷺ ويُسَمَّونه التنزيل، وبالباطن عِلْمُ اختُصَّ به علي والأئمة من بعده ويُسَمونه بالتأويل، وهو العلم الذي كشف الله لهم به من الأسرار مَا لم يعلمها غيرهم فعرفوا الحق عن طريقه، فضْلاً عن أن الله يوحي إليهم عن طريق الإلهام، فكل ما وقع في قلوبهم وحيٌ يُوحَى به إليهم من الله، وهذا هو معنى الباطنية، * ومن معانيها كذلك، إخفاءُ ما يُبْطِنون حتى يصلوا إلى أغراضهم.

* *

* وأما التَّقيَّة، فهي المدارة، ومعناها، أن مَنْ خاف منهم من عَدُوٍّ، فيجب عليه أن يَتَّقي هذا العدو، بأن يُظهر له غيرَ ما يُبطن، فيكون سُنِّيًا مع السنة، وخارجيًا مع الخوارج ويهوديا مع اليهود، وهكذا، لكن يجب عليه أن يعمل في الخفاء لنشر دعوته إن أمكنه ذلك، فإذا قَوِيَ وضَعُف عَدُوُّه دعَا إليها جهرًا.

* ولهذا تَمَيَّزَ الشيعة بالعمل السِّري وأحكموه، وبَرَعوا فيه، وكان من أسرار بقائهم، ونُمُوِّ دعوتهم.

* وهذه التَقيَّة، جُزْءٌ من عقيدة الشيعة، حتى قالوا فيها كما جاء في الكافي[1]: تسعة أعشار الدين في التَقيَّة، ومن لا تَقيَّة له، لا دين له ومن صلَّى وراء سني تقية فكأنما صلى وراء نبي[2].

(١) كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني هو المصدر الأول للشيعة كصحيح البخاري عند أهل السنة.

(٢) التقية عند أهل السنة، رخصة جائزة عند الضرورة بالقول واللسان لِمَن خاف على دينه أو نفسه أو ماله لقوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

* طوائف الشيعة

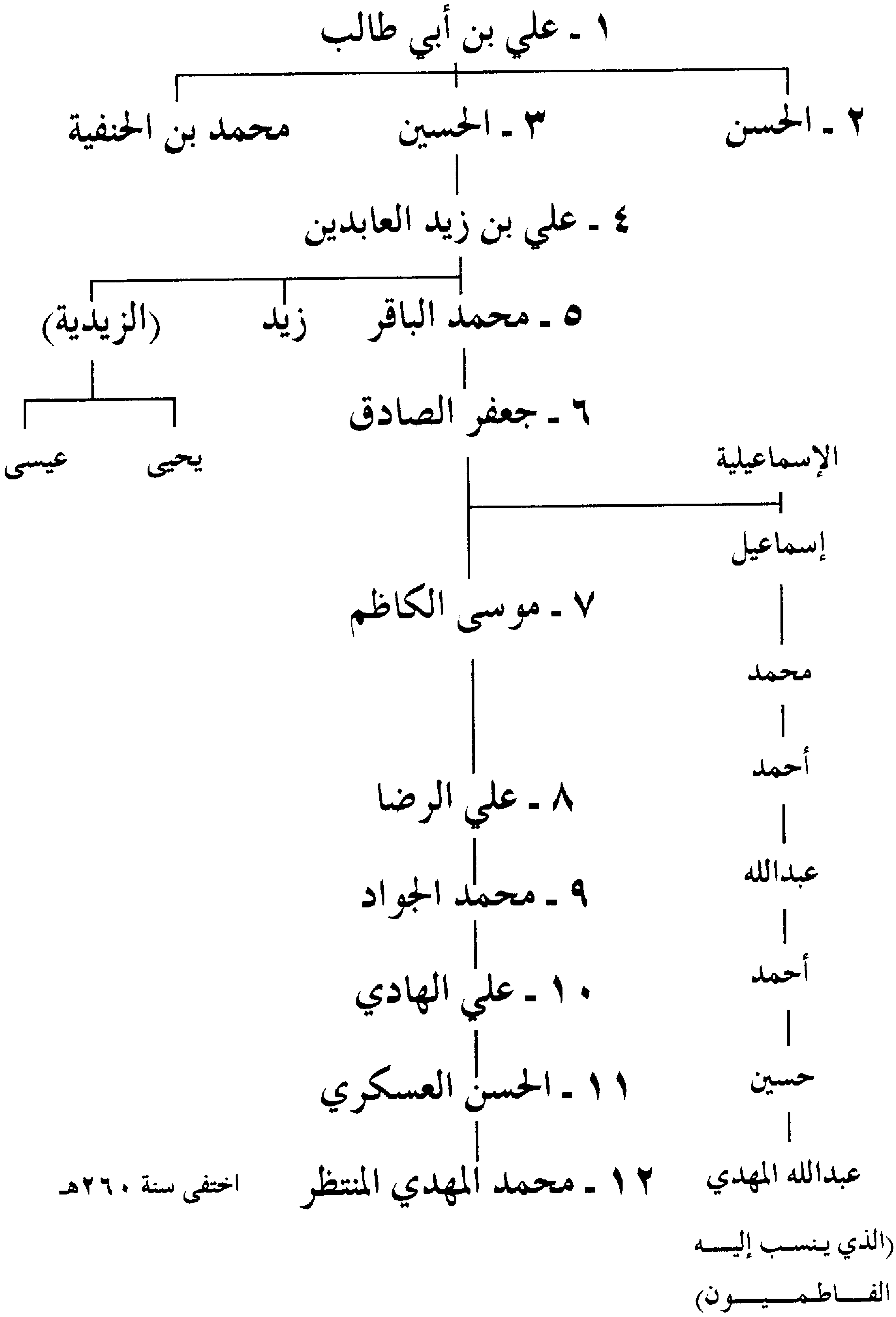
* تفرقت الشيعة إلى فرقٍ كثيرة مِنْها من ذَهبت ريحُه، ومنها من بقي إلى يومنا هذا، وهؤلاء الباقون منهم من لا يَزَال متعلقًا بالإسلام بِحَبْلٍ أو أكثر، ومنهم من ضل ضلالاً بعيداً، وكَفر كفراً عظيماً.

* *

* وَفِرق الشيعة التي لَهَا وُجُود ونشط في عَالَم المسلمين اليوم هي الاثنا عشرية (الإمامية) والزيدية، ثم نفضيون المعروفون بالإسماعيلية وهم ثلاث طوائف: الأغاخانية، والدُّروز والبُهْرَة، ثم النَّصَيْرية المعرفون بالْعَلَوِيين، ثم البهائية.

* *

شجرة الأئمة



(١) شجرة تسلسل الأئمة عند الشيعة، والأرقام الوسطى تبين أئمة الإثنى عشرية واليمنى تبين أئمة الإسماعيلية واليسرى أئمة الزيدية.

* وإليك نبذة عن كل فرقة منها:

الإثنا عشرية «الإماميَّة»

* هي أكثرُ طوائف الشيعة عددًا، وأعزُّها نفرًا، وأكثرها قوة، خاصَّةً بعد أن قامت لها في إيران دولة، فَنشطت نشاطًا كبيرًا في الدعوة إلى التشيع، وأحرزت نجاحًا ملحوظًا في أفريقيا وآسيا، خاصَّةً بعد ما أعلنت تحديها لقوى الغرب، وتَصَدِّيها للنفوذ الأمريكي، ووقوفها ضِدَّ إسرائيل، ورَفَعَها لِشعار حماية المسلمين في كل مكان، وسواء كان هذا حقًا أم باطلا[1]، فقد كان شعاراً جَذَبَ إليه كثيراً من المسلمين الذين يَتَطَلَّعون إلى يَومِ الخلاصِ منْ أعدائهم، ولا يَجِدون من يقُودوهم إليه.

* *

* ونحن لا نكتب عنهم لِنستعديَ عليهم أحدًا، فنحن معهم في خندق واحد ضد أعداء الإسلام، ولكن يجب أن لا يدفع الإعجابُ بهم، أحدًا من أهل السنة يؤدي به إلى التهاون فِيمَا عليه جماعته من الحق، أو إلى اعتقاد أنهم على صواب في كل شيءٍ، وسنرى في الصفحات التالية بعض ما هم عليه من مخالفات، والله يفتح بيننا وبينهم بالحق وهو خير الفاتحين.

* *

* والإثنا عشرية تجتمع على العقائد التي ذكرناها من قبل، وعلى غيرها مما سنذكره.

* وسُمُّوا بالإثني عشرية لاعتقادهم بانتقال الإمامة من عَلِيٍّ إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى أبنائه من بعده حتى انتهت كما هو مُوَضَّحٌ في شجرة الأئمة إلى إمامِهُم الثاني عشر محمد المهدي، الذي اختفى في زعمهم في سنة ٢٦٠هـ وعمره أربع أو ثماني سنوات، ويعتقدون أنه يقيم في سرادب بمدينة

---

(١) قلت هذا لأن الدولة الإيرانية كانت تساعد روسيا ضد مجاهدي الشيشان، وتعادي بعض جماعات المجاهدين في أفغانستان وباكستان وغيرهما.

سَامرَّاء بالعراق، وهو المهدي المنتظر، الذي سَيَظهر في زعمهم ويملأ الأرض عدلاً، ويقود شيعته إلى النصر ونشر الإسلام في العالمين، ويقوم الشيعة بزيارة السِّرداب ويدعون الله أن يُعَجِّل فرجه.

* *

* والإثنا عشرية كما قال ابن خلدون رحمه الله(١) هم الذين حملوا لواء التشيع، وهم الذين أضْفَوْا على الإمام كلَّ مظاهرِ التقديس والإجلال، بِمَا وضَعُوا من أحاديث، وبما دَسُّوا من أخبار وآثار، وبِمَا أَوَّلوا من آيات القرآن الكريم.

* *

* جاء في «الكافي»(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] بأن المؤمنين هم عَلِيٌّ وأبناؤه الذين سَتُعْرَضُ عليهم أعمال العباد يوم القيامة.

* *

* وجاء فيه أن النبي ﷺ قال لعلي: إذا كان يوم القيامة جلسنا أنا وأنت وجبريل على الصراط فلا يَمُرُّ عليه أحد إلا إذا كان بيده براءة من نار جهنم بولايتك!.

* *

* وفيه: والأئمة شاءوا أن يَعلموا شيئًا أعلمهم الله إياه، وهم يعلمون متى يموتون، وهم يعلمون علمَ ما يكون، وأنَّه لا يَخْفِي عليهم شيء، وأن الله تعالى لم يُعَلِّم نبيَّه علمًا إلا أمره أن يَعَلِّمه عليا أميرَ المؤمنين، فهو شريكه في العلم، وَعَلِيٌّ عَلَّمَ الأئمةَ من بعده، وكلُّ إمام يُؤدى إلى من أوصى إليه.

* *

* وجاء في كتاب «فرق الشيعة» للنوبختي: الحلالُ حلالُ آل محمد، والحرامُ حرامُهم، والأحكامُ أحكامهم، وعندهم جميعُ ما جاء به النبي ﷺ، كلُّه كاملٌ

(١) المقدمة.
(٢) لِلْكليني الشِّيعي.

عند صغيرَهم وكبيرِهم، والصغيرُ والكبير منهم في العلم سواء، لا يفضلُ الكبيرُ الصغيرَ، وليس يحتاج أحدٌ منهم أن يتعلم من أحد منهم، ولا من غيرهم، العلم يَنبُت في صدورهم كما يُنبِت الزَّرعَ المطرُ.

* *

* وكان من نتيجة تلك العقيدة، أن كانت زيارة أضرحة الأئمة أفضلُ عند بعض الشيعة من الحج إلى بيت الله الحرام، وقد رتَّبوا لتلك الزيارات أحاديثَ مدسوسة، ومواقيتَ معلومة، وأدعيةً مَصنْوعة، ضَمَّنَها كتاب لهم اسمه «واقفة الزائرين لِلْمَجلسي» جاء فيه: مَن زار قبر أمير المؤمنين عارفًا بحقه غيرَ متجبر ولا متكبر، كتبَ الله له أجرَ مائةِ شهيد، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

* *

* هذا بعضُ ما ذكروه عن أئمتهم، وهناك ما هو أكثر منه، صَرَفْنَا النظر عنه، لأن العقول السليمة لا تُصَدِّقُه، والقلوبَ المؤمنة تنكره، فضلاً عن أنه كذبٌ على الله ورسوله.

* *

* هذا، للشيعة الإمامية مخالفاتٌ في العقيدة، والقرآن، والسنة، والفقه، ولهم مَوْقفٌ غيرُ كريم من الصحابة الكرام.

* *

* أمَّا مذهبهم في العقيدة، فلا شك أنهم يؤمنون بالله ورسوله وسائر أركان الإيمان والإسلام، لَكِنَّ مذهبهم في صفات الله ورؤيته في الآخرة، ومرتكب الكبيرة والقدر، وزيادة الإيمان ونقصه كمذهب المعتزلة الذي سبق بيانه.

* *

* وأما قولهم في القرآن، فإن مُعْظَمَهم يعتقدون أن المصحف الموجود الآن هو قرآن كريم، لم يتغير ولم يتبدل، لأن الله تعالى تكفل بحفظه، لكن ليس هو كل

القرآن، فهناك سُوَرٌ كثيرة تنص على إمامة علي وأبنائه أخفاها مَنْ منعوه حقَّه في الخلافة، ولكن السيدة فاطمة ﵂ حصلت عليها وأخفتها، وظلت تَنْتَقِل من إمام إلى آخر، حتى حازها المهدي المنتظر، وستظهر بظهوره لتكون حجة له ولأهله، جاء في الكافي: وإن عندنا لمصحف فاطمة فيه مثلُ قرآنكم هذا ثلاثُ مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

* *

* والْغلاة منهم يعتقدون، أن أهل السنة قد حرَّفوا آياتِ القرآن التي تَدُلُّ على إمامة أهل البيت، وقَدْ نَصُّوا على ذلك في كتبهم!

* *

*وأما رأيهم في السنة، فإنهم ينكرون أحاديث البخاري ومسلم وصحاح أهل السنة، ويَدَّعُون أنها موضوعة أو محرفة، ولا يأخذون منها إلا ما يوافق هواهم، ويَدَّعون أن رُوَاة هذه الأحاديث كذابون خاصة أبو هريرة وعائشة﵄ .

* *

*وأمَّا مذهبهم في الفقه، فإن لهم فقهًا خاصا بِهم، بعضه ظاهر البطلان والشذوذ.

*فَهُمْ يُبيحُون زواج المتعة، وهو زواج يتم بين رجل وَامْرأةٍ لِوقتٍ محدود، وعلى مهْرٍ معلوم، وبِلا وَليٍّ ولا شهود، ولا إعلان، وعِدَّته لا تزيد على خمسة وأربعين يومًا، وهذا الزواج حرمه رسول الله ﷺ حرمة قاطعة.

* *

*ويُبِيحون اللِّواط بالزوجة، وإذا امتنعت تُعَدُّ ناشزًا.

* *

*ولا يُوَرِّثون الأنثى من العقار بل من فروع الأموال.

* *

*وابنُ العم في الإرث يحجب العم، وإنما قالوا بذلك، لأنهم لَمَّا جعلوا الإمامة في علي، وكانَ عمُّه العباس حيا، قالوا إن ابن العم يحجب العم في كل شيء،

لِيَتَوصلوا بذلك إلى أن عليا يحجب العباس في خلافة النبي ﷺ

* *

* النوافل عندهم إحدى وخمسون ركعة في اليوم، وصلاة العيد فرضُ عين، وتَبْطُل صلاة التراويح إذا أُدِّيَتْ في جماعة، والسبب في هذا أن الذي جمع الناس عليها هو عمر رضي الله عنه، وهم يرفضون أي شيء يأتي من أبي بكر وعمر وعثمان ومَنْ والَاهم من الصحابة رضي الله عنهم.

* *

* الشيعة والصحابة

* إن كُتُبَ الشيعة، خاصة القديمة منها، تَطْفَحُ بكراهية أبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة الذين بايعوهم، بل إنَّ بعضهم يُكَفِّرُهُمْ جميعًا، ويكرهُون السيدة عائشة رضي الله عنها ويَرْمونَها بأشنع الأكاذيب، وأكثر المعاصرين منهم لا يزالون على هذا المذهب، وبعضهم يكذب على أهل السنة، ويأخُذُون بالتَّقية حين يزعمون أنهم يعملون على التقريب بين الطوائف الإسلامية، وحين يقولون إنه: لا فرق بين سني وشيعي وخارجي.. إلخ، فإنك لا تجد واحدًا منهم يُسَمِّي ولده أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عائشة أو غيرهم من الصحابة الذين لم يقفو مع علي رضي الله عنه.

* *

* ثم إن بَعْضَ مؤَلَّفاتِهم الحديثة تقف من الصحابة موقف العداء والوقاحة والافتراء.

* وأنا بذلك لا أتجنى عليهم، فإن تحت يدي كُتُبًا لعلماء معاصرين منهم، فيها من الضلال والافتراء على الله ورسوله وأصحابه ما فيها.

* وحسبك أن تطالع كتابَيْ إمامة علي بين العقل والقرآن، والشيعة والحاكمون لمحمد جواد مغنيه أحد مؤسي جماعة التقريب وكتاب عقائد الشيعة الاثنى عشرية لإبراهيم المُوسَوي، فستجد فيهما تكفيرا صريحا، وسَبا قبيحا لسادة الخلق بعد الأنبياء أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وأبي هريرة ومعاوية وغيرهم رضي الله عنهم، مِمَّا يَدُلُّ على الضلال المبين، الذي تَرَدَّى فيه هؤلاء الخاسرون.

* فخذ حذرك منهم حتى تكون من المفلحين.

الزَّيدِيَّة

* هم أتباع زيدٍ بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، وهو شقيق محمد الباقر الإمام الخامس لدى الشيعة الإمامية، وكان رحمه الله عالمًا ورِعًا تقيا شجاعًا سخيا، وكان كثير البكاء دائم الحزن على مَنْ فُقِدَ مِنْ أهل البيت في حربهم مع بني أمية.

* *

* ومذهب الزيدية في الإمامةِ أعدل مذاهب الشيعة، فقد رفض زيد القولَ بأن النبي ﷺ أوصى لعلي بالإمامة، وقال: إن الإمامة لا تكون بالوصية أو النص أو التعيين، وليس هناك إمام مُختَفٍ أو مُستَتر أو مُوحًى به، أو مُوصًّى عليه، أو معصوم كالأنبياء، تُلْصَقُ به الخرافات، وتُعلَّق به الأباطيل، وتُنسج حوله الأوهام.

* *

* والإمامة لا تكون إلا بالوصف، فكل مسلم عالم زاهد سخي شجاع قادر على القتال في سبيل الله، يصح أن يكون إمامًا، وإن كان من أولادِ فاطمة فهو أفضل، كما أنه يجوز خروج أكثر من إمام في وقت واحد في قطرين مختلفين، ولهذا قال بِصحَّة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، لكنه كان يرى أن عليا أفضل منهم، إلا أن إمامتهم جائزة لأنه يصح إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

* *

* وكان يُثْني على الخلفاء الراشدين أحسنَ ثناء ويَذْكُرُهم دائمًا بالخير، ويرى أنهم تولوها فكانوا أهلاً لها، وفارقوا الدنيا راضين مَرْضِيينَ.

* *

* وكان يرى وجوبَ الخروج على بني أمية واستخلاص الحكم منهم إن أمكن.

* *

* لهذا عُودي زيد من الفريقين، فريق الشيعة، الذين رأوا في أقواله خروجًا على مذهبهم، فَتَبَرَّأوا منه، ورفضوا قوله ومن يومئذ سُمُّوا بالرافضة، وفريق بني أمية، الذين رأوا في أقواله بالخروج على الحكام تهديدًا لدولتهم، فَتَرَبَّصُوا به

حتى تمكنوا منه وقتلوه.

* ذلك أنه خرج عليهم بالفعل وذهب إلى العراق، ودَعا أهلَها إلى قتال الأمويين، فخرج معه أكثر من أربعين ألفًا، فنصحه الناصحون بأن لا يحارب بني أمية حتى لا تتكرر معه مأساة جَدِّه الحسين، لكنه أقدم على حربهم، رغْمَ تَخَوُّفه من المصير، إذ قال عن نفسه:

بَكرَتْ تُخَوِّفني المنونَ كأنني ... أصبحتُ عن عَرَضِ الحياة بمعزلِ
فأجَبتُها إن المنيَّة مِنْهلٌ ... لابُدَّ أن أُسْقى بِكأس المنهلِ

* ولَمَّا جَدَّ الجِدَّ وقامت الحرب تفرق عنه اكثرُ أتباعه فلم ينسحب ولم يَفر، بل ثبت في ميدان القتال وهو ينشد:

أذُلُّ الحياة وعزُّ المماتِ ... وكلا أراه طعامًا وبيلاَ
فإن كان لابُدَّ من واحدٍ ... فسيرى إلى الموتِ سيرًا جميلاَ

* وخاض الحرب بعشرات ثَبَتُوا معه لكنه هزم وقتل.

* وخَلَفَهُ من بعده ابنه يَحْيى، وقاتل حتى قتل أيضًا.

* *

* هذا عن نشأة الزيدية الذين يوجد لهم نفوذ الآن في اليمن، وتلك عقيدتهم في الإمامة ونظام الحكم، وهم بذلك يقتربون من أهل السنة إلا في تفضيل عَلِيٍّ عَلَى الخلفاء قبله.

* ويأخذ متقدمو الزيدية بالأحاديث المنسوبة إلى أهل البيت دون غيرهم، وبعض المتأخرين منهم يأخذون بأحاديث أهل السنة، ولذلك ظهر منهم فقهاء كبار كالشوكاني والصنعاني، وصاروا بحمد الله من أعاظم علماء السنة والسلف.

* *

* وعقيدة الزيديَّة، في الله تعالى ورؤيته في الآخرة، والقَدَر والإيمان والقرآن كعقيدة المعتزلة، لأن زيدًا كان تلميذًا لواصل بن عطاء شيخ المعتزلة، فَتَأَثَّرَ به.

* ولهذا فارقوا أهل السنة.

الإسماعيلية[١]

* نشأتهم: رأيتَ في شجرةِ الأئمة أنَّ من أبناءِ جعفر الصادق، إسماعيل وموسى، وكانَ إسماعيل أكبرُهم سنا، فَمِنَ الطَّبيعي بموجب عقيدةِ الشيعة أن تكون الإمامة له بعد أبيه، ولكن إسماعيل هذا كان يشرب الخمر، فعدل أبوه عن الوصية له إلى ابنِهِ موسى، ولكنَّ بعضَ الشيعة رفضوا هذا وتمسكوا بإمامة إسماعيل، وقالوا: إنه معصوم، وهو لم يشرب الخمر، وإن شربها فَلِحِكْمَةٍ يعلمها الله.

* *

* وبعد أن مات إسماعيل جعَلوا الأئمة في نسله، ومن هنا نشأت الإسماعيلية[٢].

* وقد ظلَّ من اعتنقوا الإسماعيلية يدعون لها سرا، وبرعوا في العمل السري براعة تامة، ولذلك غلَب عليهم وصف الباطنية، وانتمى إلى هذه الدعوة كثير من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، وفي ظل السرية اتَّسعت دعوة الإسماعيلية ونشطت، فكان لهم فيهما بعد دولةٌ وحكم، ثم تفرقوا مع الزمن إلى ملل ونِحَل وطوائف، لا تزال باقية إلى اليوم.

* أما الدولة فهي الدولة الفاطمية، وأما الطوائف فهي الدروز والبهرة والأغاخانية وما تفرع منها واتفق معها في أصول العقيدة الفاسدة كالبهائية والنصيرية وغيرهما.

الْفَاطِميون

* اعتنق الإسماعيليةَ كثيرٌ من الناس، اشتهر منهم ميمون القداح، ومحمد الحسين ذَيْذَان، ولم يكونا مُسْلِمَين أصلاً، وكَانَا مَسْجُونين في العراق، فأسَّسَا في السجن أصول المذهب، ولَمَّا خرجا من السجن رحل ميمون إلى بلاد المغرب، ودعا فيه إلى المذهب، وتبعه كثير من الناس، وأمَّا محمد بن الحسين فقد

(١) ظهرت في أواخر القرن الثالث الهجري.

(٢) وقيل إن إسماعيل مات في حياة أبيه، فانتقلت الإمامة إلى أخيه.

تَنَقَّلَ بِدَعوته في بعض البلاد الإسلامية، وشكَّل جماعةً من الأتباع والأنصار، وكوَّن من أعداء الإسلام دعاةً ماكرين، كانوا أعمدة للإسماعيلية، فظهر في الشام الحسنُ بن الصباح، وظهر في العراق حمدان قُرمط زعيم القرامطة، الذين أحدثوا في الإسلام ما لم يُحْدِثه أحدٌ مثلُهم كما سنذكره فيما بعد.

* *

* ولَمَّا صار للإسماعيلية أتباع وأشياع في المشرق والمغرب، أعلنوا عن إمام لهم، هو عبيدالله المهدي، وقالوا: إنه المهدي المنتظر، والإمام المستور المعصوم، الْمُوَصَّي عليه من آبائه وأجداده المزعومين.

* *

* وكان يعيش في سوريا، ثم انتقل إلى المغرب، وأقام فيها دولة إسماعيلية، كانت أساسًا للدولة الفاطمية، التي ملكت معظم البلاد الإسلامية ومنها مصر، التي استولى عليها المعز لدين الله الفاطمي الحفيد الرابع لعبيدالله المهدي.

* *

* وعُبَيْدُ الله المهدي هذا، كان شخصية غريبة وماكرة، فهو حفيد ميمون القداح، ولكنه غَيَّرَ اسمه ونَسَبه، فادَّعى أنه ينتمي من جهة الأب إلى إسماعيل ابن جعفر الصادق، ومن جهة الأم إلى السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ولذلك سُمُّوا أيضًا بالفاطميين، وغلبت عليهم تلك التسمية واشْتَهروا بها، وكانوا يقصدون بذلك، استمالةَ الناس إليهم، لِمَا للسيدة فاطمة الزهراء من مكانة في قلوب المسلمين.

* *

* وهكذا تمكن الفاطميون من حكم معظم البلاد الإسلامية، ولما صارت لهم اليد الطُّولي، ادَّعى خلفاؤهم الألوهية، ولا تزال طائفة الدروز والبهرة

والأغاخانية يعبدون الحاكم بأمر الله.

* *

* وتتضح عقيدة تأليه الفاطميين في قول ابن هانئ الأندلسي في المعز لدين الله:

ما شئت لا ما شاءَت الأقدارُ فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهارُ
وكأنَّما أنت النَّبيُّ مُحَمَّدٌ وكأنَّمَا أنصارك الأنصارُ
هذا الذي ترجى النجاة بِحُبِّه حقا وَتَخْمُدُ إذ تراهُ النارُ
أبناء فاطمَ هل لنا في حَشْرنا لَجَأٌ سِوَاكُم عاصم ومُجَارُ
شَرُفتْ بِكَ الآفاقُ وانْقسمتْ بك الأرزاقُ والآجالُ والأعمارُ
جَلَّت صفاتُك أن تُحَدَّ بِمَقولٍ ما يَصنعُ المِصداقُ والمِكْثَارُ

* هذا عن نشأة الإسماعيلية.

* أما عن عقيدتهم:

فيقول عنها البغدادي رحمه الله: ذكر أصحابُ التواريخ، أن الَّذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وأنهم صاغوه حسب معتقداتهم[1]، وقد أوَّلوا آياتِ القرآن وأحاديث النبي ﷺ لِتَتَمَشَّى مع هذه المعتقدات، فزعموا أن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص، ولَمَّا كانوا يؤمنون بأن عليا وأبناءه خيرُ البرية فقد ظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم!

* *

* وقالوا: إن الصلاة معناها: موالاة الإمام، والحج: زيارته وإدْمان خدمته، والصوم: الإمساك عن إفشاء سره بغير عَهْدٍ.

* وحسبنا منهم هذا الضلال المبين.

(١) الفرق بين الفرق.

* وكَمَا كان هؤلاء أعداءً لله، كانوا أعداءَ للإنسان والعمران، فإن القرامطة وهم من الفاطميين، كانوا يقتلون مَنْ يخالفهم، وقد دَمَّروا الأخْضَر واليابسَ، وأهلكوا الحرث والنسل، وانتهكوا الحرمات والمقدسات، وهدموا المساجد وأحرقوا المصاحف، واستولوا على الكعبة في موسم الحج، وقتلوا الطائفين والعاكفين والرُّكَّع السجود. وألقَوْا بجثثهم في بئر زمزم، ونقلوا الحجر الأسودَ إلى مدينة هَجَر بالإحساء. حتى أُعيد إلى مكانه بعد أكثر من ثلاثين سنة.

* * *

هذه هي الإسماعيلية بالأمس الذين يتغنَّى بحضارتهم الفاطمية، أصحابُ العقول الفارغة من العلم والهدى، تلك الحضارة التي جَرَّت على مصر والمغرب وغيرهما شراً كبيرا، مُتَمَثِّلاً في الأولياء المزعومين، والأضرحة التي تُعبد من دون ربِّ العالمين.

طوائف الإسماعيلية

* تتكون الإسماعيلية اليوم من عدة طوائف هي الدروز والبهرة والأغاخانية، ونشير باختصار إلى هذه الطوائف من حيث النشأة والاعتقاد.

الدُّرُوز

* ظهرت هذه الطائفة في أوائل القرن الرابع الهجري في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، الذي ادَّعى الألوهية، وكان من الذين اتَّبَعُوه محمد بن إسماعيل الدَّرزي، الذي ذهب إلى الشام ودعَا إلى تأليه الحاكم، وركَّزَ دعوتَه بين اليهود والنصارى والجهلة من المسلمين، فاستجاب له كثير من الناس، وقامت عقيدتهم على مبادئ الإسماعيلية، ثم زادوا عليها عقائد أخرى فاسدة منها: إنكار الجنة والنار والثواب والعقاب.

* فلا ثواب بجنة، ولا عقاب بنار، وإنما يكون بتناسخ الأرواح، وذلك بانتقال روح الإنسان الطائع من جسده إلى روح أسعد، وبانتقال روح العاصي إلى

روح أشقى، فإذا عاد إلى الطاعة انتقلت روحه إلى السعادة، وهكذا، وغير ذلك من الضلالات.

* ويقيم الدروز الآن في سوريا ولبنان وفلسطين المحتلة ويتعاونون مع اليهود في حرب المسلمين.

الْبُـهْـرة

* وأساس نشأتها: أن بعض أتباع الإسماعيلية من تجار اليمن كانوا يذهبون إلى الهند بِقَصْد التجارة مع أهلها من الوثنيين وغيرهم، فقام هؤلاء الإسماعيليون بالدعوة إلى دينهم، فاعتنقه بعض أهل الهند، وكان معظمهم من التجار، فَعُرِفوا بالبهرة، والبُّهْرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر.

* *

* وقد انقسمت طائفة البهرة إلى البهرة الدَّاوُدِية، وأكثرهم في الهند، وفيها مركزهم، ويُوجَدُ بعضُهم في باكستان والهند، والبهرة السليمانية، ومركزهم في اليمن الجنوبي حتى اليوم.

* *

* وللبهرة أماكن خاصة للعبادة اسمها «جامع خانة» يؤدون فيها صلوات مخالفة لصلوات المسلمين وطقوس مبْهَمة لا يعرفها غيرُهم.

* *

* ويعتقدون أن أئمتهم يتصفون بصفات الألوهية، ويتوجهون إليهم بالدعاء والرجاء.

* *

* يحجون البيت الحرام، لاعتقادهم أن الكعبة رمز على الإمام.

* *

* يَعمدون إلى التأويل الباطني في كل شيء. فكل الفضائل التي جاءت في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة تُؤَوَّل على أنها الإمام، والإمام يموت في الظاهر، لكنه في الحقيقة ينتقل إلى مَنْ سبقه من الأئمة بعد أن يُسَلِّم الإمامة لغيره، ولا تخلو الأرض أبداً من إمام معصوم ومعبود.

* *

* والبُهْرة الهنود، يستهدفون إقامة فَرْع لهم في مصر عن طريق الإشراف على المساجد التي توجد فيها أضرحة لأهل البيت كالحسين والسيدة زينب وغيرهما، حيث تَمَّ تقصير الذهب والفضة تحت الأضرحة المزعومة، ويقيمون الآن في منطقة الحسين. ويحتلون مسجد الحاكم بأمر الله الذي يعبدونه من دون الله.

الأغاخانية

* مؤسس هذه الطائفة يُسمَّى حَسَنْ شاة من إسماعيلية إيران، حيث ادَّعى في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، أنه الإمام الإسماعيلي المعصوم والمهدي المنتظر، وجمع حوله عدداً من الأتباع هَدَّد بهم الأمن، وقطع الطريقَ، ونهب الأموال، وانْضَمَّ إليه الرِّعاعُ والمجرمون والعاطلون والفاسقون، واتَّصل به الإنجليز، وعاونوه وأمدوه بالسلاح والمال، ثم قُبِض عليه ونُفي إلى أفغانستان ثم إلى الهند، لَكِنِ الإنجليز تمكنوا من إعادته ونَصَّبوهُ إمامًا على الإسماعيلية، وخلعوا عليه لقب أغاخان.

* *

* ولما مات خلفه ابنه أغاخان الثاني، وكان شابا مثقفا ذكيا، فقاد أبناء طائفته بحكمة ودهاء، وطاف بالدول، وأنشأ في كثير منها مراكز إسماعيلية، ولما مات خلفه ابنه محمد ـ أغاخان الثالث ـ فنهج نهج والده في الطواف بالدول والاتصال بالزعماء، ولما توفي سنة ١٩٥٧م دفن بمدينة أسوان حسب وصيته

وأصبح قبره مركزاً يحج إليه الإسماعيليون من كل مكان.

* ولا يخفى على دراسي الحركات الدينية، الهدفُ من وراء دفنه في مصر، إنه العمل على نشر مبادئ الإسماعيلية وأفكارهم، خاصة لدى السُّذج من الناس والمتشبعين بروح الصوفية الغالية، مما يُخشى منه على المقيمين في هذه المنطقة، مِنْ وجود طائفة إسماعيلية مع الزمن تسعْى إلى اكتساب حق قانوني.

* *

* والأغاخانية طائفة باطنية استمدت تعاليمها من الإسماعيلية الأولى، ويفترقون عنهم بالقول بإمامة أغاخان وأبنائه من بعده، ويقدسونهم، ويقولون بعصمتهم، ويُضْفُون عليهم صفات إلهية، ويدفعون لهم خمس ما يكسبون من المال، فينفقونها كما هو معروف عنهم، في الملذات والشهوات.

الْعَلِويُّونَ «النُّصَيرية»

* ظهرت هذه الطائفة في عام ٢٧٠هـ على يد رجل شيعي اسمه محمد بن نصير النِّمْري، ولذلك كانت تُسَمَّى بالنصيرية، ثُمَّ عُرِف أتباعها فيما بعد باسم العلويين، لأنهم يُشركون عَليّ بن أبي طالب ﷺ في صفات الألوهية.

* *

* وكان محمد بن نصير من أتباع الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر لدى الإثنى عشرية، ثم انفصل عنه ووضع مذهباً جديداً للتشيع، اتفق في معظمه مع المذهب الإسماعيلي، ثم ادَّعى النبوة والرسالة.

* *

* يعتقدون أن علياً لَمْ يُقْتل، بل ارتفع إلى السماء، وأنه لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، وهو الذي خلق الخلق ورزقهم، ويسكن السَّحاب، ولذلك فهم يقولون إذا مَرَّ بهم السحاب: السلام عليك يا أبا الحسن.

* كما يعتقدون أنَّ كلّ مَنْ يولد من صلب عَليٍّ يَحْمِلُ صفات الألوهية.

* *

* يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان وكلَّ من لم يكن في صف عَلي، وينكرون حقيقة البعث والحساب والجنة والنار، وهي عندهم انتقال الروح الشريرة إلى مولود جديد عند مَوْتها أكثر منها شرا، والأرواح الطيبة إلى أجساد أطيب منها.. وهكذا.

* *

* لا يصلون الجمعة، وليس لهم مساجد، وإنما يصلون صلاة خاصة بهم في معابد تمتلئ بصور فروج النساء.

* *

* ولا يَحُجُّون، ويعتبرون الحج عبادة أصنام.

* *

* ولا يصومون ويعتبرون الصوم في رمضان الامتناع عن معاشرة النساء، وغير ذلك من الكفر الأكبر، والضلال المبين.

الْبَابِيَّة والْبهَائية

* تولَّدَت البهائية من فرقة تُسمَى الْبَابية، أسَّسَها رجل من شيعة إيران، اسمه ميرزا محمد علي، وكان ذلك في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، زَعَمَ أوَّلاً أنه المهدي المنتظر، ثم ادَّعى النبوة وأنه يَنْزل عليه كتاب اسمه «البيان» فَقُبِض عليه وأُعدم في عام ١٢٦٦هـ.

* *

* وكان قد ترك رجلاً من أنشط رجاله في الدعوة، اسمه ميرزا حسين علي،

المُلَقَّب بالبهاء، ذهب إلى تركيا ونشِط في الدعوة إلى البابية ثم ادّعَى النبوة، ثم زعم حلول الإله فيه، ثم رحل إلى عكَّا بفلسطين، ووضع كتابًا سماه «الأقدس» دعا فيه إلى نَبْذِ الإسلام، وتَرْك القرآن، واعْتِنَاق دين البهائية الجديد، الذي نسخ القاديانية وكلَّ الأديان.

* *

* وقال إن يوم القيامة هو اليوم الذي ظهر فيه البهاء، والجنة هي الحياة الروحية السعيدة، والنار هي الحياة الروحية الشقية، ولا ينال الجنة إلا البهائيون.

* *

* وجعل الصلاة تسع ركعات في اليوم والليلة، وقِبْلَتُها حيث يوجد البهاء، ولذلك استقرت قبلتهم إلى عكَّا، لأنه دفن فيها، والصوم تسعة عشر يومًا في السنة من شروق الشمس إلى غروبها، وتنتهي بعيد النيروز.

* *

* وأبطل فريضة الحج، ومنع تعدد الزوجات، وأبطل الطلاق، وحرَّم الحجاب... إلخ.

* *

* وقد هلك عام ١٨٩٢م فخلفه ابنُه عباس الملقب بعبد البهاء، وكان مثقفًا ثقافة غربية واسعة، وطاف في بلاد الغرب يدعو إلى مذهبه، وأقام في أمريكا وأوربا، مراكز بهائية كبيرة بمساعدة أعداء الإسلام خاصة اليهود.

* *

* وتحالفت البهائية مع الماسونية اليهودية[١] وتلاقت أهدافهما في العمل على الكيد للإسلام، ويحصل البهائيون على الإقامة في إسرائيل، ولهم فيها مراكز كثيرة.

---

(١) الماسونية منظمة يهودية سرية إرهابية، محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم تحت شعارات خداعة كالحرية والإخاء والمساواة، وتختفي تحت مسميات أخرى كالروتاري والليونز والانرهويل... إلخ.

الْبَهائية في مصر

* تسللت البهائية إلى مصر منذ زمن. واعتنقها بعضُ المارقين خاصة أهل الشهوات، ولَهَا فيها الآن موضع قدم قوي خاصة بين بعض الإعلاميين وأهل الفن، وقد كُشِف هذا الأمر حين قُبِض قبل سنوات على التنظيم البهائي بقيادة حسين بيكار، وهو صحفي بالأخبار. هذا قبل بضع سنوات، وحين قُبِض عليه دافَعَ عنه كثير من الكُتَّاب. بدعوى حرية الشخصية، فتم الإفراج عن أعضاء التنظيم جميعًا بِزَعم أنهم لا يشكلون خطرًا على أمن البلاد!

* *

* ولا يزالون يعملون ويَنْشَطون، ولَكِ الله يا مصر.

* *

الْقَادِيَانية

* القاديانية لا علاقة لها بالشيعة، بل نشأت في الهند سنة ١٩٠٨م على يد الاستعمار الإنجليزي، بعد أن وجدوا من المسلمين مقاومة شديدة وجهاداً كبيراً، فاستَمالوا رجلاً كان من دعاة المسلمين، اسمُه ميرزا أحمد القادياني، فاستجاب لهم، ودعا إلى إبطال فريضة الجهاد، وقام بتأويل الآيات والأحاديث التي وردت بشأنه تأويلاً باطلاً.

* *

* ثم ادَّعَى أنه المهدي المنتظر، ثم ادَّعى النبوة وأنه يوحى إليه، وزعم أن رسالته لا تنافي كَون محمد خاتم النبيين، لأن معنى خاتم النبيين، أن كل رسول يجيء من بعده يكون بخاتمه وإقراره، وقال في كتابه حقيقة الوحي: هو - أي النبي ﷺ - خاتم الأنبياء، بمعنى أنه وحده صاحب الختم لا غير، وليس لأحد أن يحظَى بِنِعمَة الوحي إلا بفيض من خاتمه ﷺ، وأن أُمَّته لن يُغْلَق في وجهها بابُ المخاطبة الربانية إلى يوم القيامة، فلا صاحب للختم الآن إلا هو! وقال في التجليات الإلهية لو لم أكن من أمة محمد ﷺ، ولو لم أتابع طريقه لما تشرفت بالْمُكَالمة والمحادثة الإلهية.

* ثم خطَا في الكفر خطواتٍ كبيرة، فزعم أن الله يصوم ويصلي، وينام ويصحو، ويأكل ويشربُ... إلخ. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

* *

* وأباح لأتباعه الخمر والمخدرات، وكفَّر كلَّ مُسلم لم يدخل مِلَّته، وغير ذلك من الضلالات.

* *

* ومعظم أتباع هذه الملة يعيشون في الهند وباكستان ولبنان وإسرائيل التي تَدْعَمُهُم في كل مكان دَعمًا كبيراً.

الأحمدية

* انضَمَّ إلى القاديانية في بداية أمرها عددٌ من أعيان المسلمين، فلَما غَالَى القادياني في أفكاره انقلبُوا عليه، وكان من هؤلاء رجل يسمى مولاي محمد عَلِي، أخذ في تصحيح مسار القَاديانية بعد موت ميرزا، لكنه لم يَخلُصْ إلى الإسلام الصحيح.

* وظل أتباعُه من بعده على اعتقاد أن النبوة لم تُختَم بمحمد ﷺ، فكفروا بذلك، لكنهم يقرأون القرآن ويُؤَوِّلون آياته بما يتفق ومذهبهم.

* *

* ويَحُجُّون البيت الحرام، ومساجدُهم لا تختلف في شكلها وقبلتها عن مساجد المسلمين، ويملأونها بالمصاحف الشريفة، ويُصَلُّون الصلوات الخمس ويسمون أنفسهم بالأحمدية.

* *

* ولهم مراكز كثيرة، ومساجد فخمة في أمريكا وأوربا، واستراليا، ويجدون من هذه البلاد خاصة بريطانيا عونًا وسندًا، لأنهم يعملون ضد الإسلام.

ولهم نشاط واسع، ودعاة كثيرون في أفريقيا.

ولهم في بريطانيا قناة فضائية باسم التليفزيون الإسلامي، أرجو من كل مسلم أن يحذره، وأن يحرص من وكر الشياطين.

وقد نزل إلى مصر في هذه الأيام بعض دعاتهم. ويعملون على استدراج البعض إلى كفرهم وضلالهم. فانتبه أيها المسلم عصمني الله وإياك من الفتن.

حِزبُ التحرير (١)

حزب التحرير من الأحزاب المنسوبة إلى الإسلام، والتي أخذت مكانةً واسعة في القرن الماضي. وشغلت الرأيَ العامَ الإسلامي فترة من الزمن، ولا يزال له أتباعٌ وأشياع، لكنهم ضَعُفوا من حيث الحركة والنفوذ لاصْطِدامهم الدائم بالحكومات، ولانْحِرَاف أفكارهم عن بعض مبادئ الإسلام، ولكن يوجد لهم جيوب هنا وهناك.

* *

أسَّسَ هذا الحزب سنة ١٣٢٦م ١٣٩٧هـ رجل من فلسطين اسمه الشيخ تقي الدين النَّهْباني، وقام على أساس إسلامي فهو يدعو إلى إقامة دَوْلَة الخلافة أي الدولة الإسلامية الواحدة، التي تَخْلُفُ النبي ﷺ وخُلفاءَه من بعده، وتقوم على الدعوة إلى الله وحماية المسلمين في كل مكان، ثم بَسْطِ دولة الخلافة على الأرض كلِّها، ولن يتحقق ذلك إلا بإقامة دولة الخلافة في البلدان العربية أولا، ثم الإسلامية تباعا، ثم إلى كل الدول عن طريق الأمة الإسلامية.

* *

حَدَّدَ الحزب طريق الوصول إلى أهدافه بما يراه من أن أي مجتمع إنما يعيش

(١) راجع الموسوعة الإسلامية الميسرة.

الناس فيه داخل جدارين سَميكين، جدار العقيدة والفكر، وجدار الأنظمة الحاكمة، فإذا أريد قلب هذا المجتمع من قِبَلِ أهْله أنفسِهم فلابد من مهاجمة أفكاره وعقائده، مما يؤدي إلى صراع فكري فيحصل الانقلاب السياسي.

* وفي سبيل الوصول إلى هذا الهدف فلابد من تثقيف الأمة وتعليمها مبادئ الحزب وأفكاره، وإقناعها به، لتحصل الانقلابات المنشودة، حتى يَتَسَنَّى للحزب تسلُّمَ السلطة عن طريق الأمة، ولا بأس بالاستعانة في هذه الحالة بأي جماعة أو زعيم، ولَوْ كانوا غير المسلمين.

* ويعتمد أفراد الحزب العمل السري الشديد، مما أدَّى إلى تَخَوُّفِ الأنظمة منهم، وملاحقتهم وضربهم.

* *

* رَغْمَ ما زَعمه مُؤسسو الحزب من أنه قام على مبادئ الإسلام، إلا أنهم أنكروا بعض الثوابت الإسلامية، وصارت جزءا من مبادئهم، مما أدَّى إلى انحرافهم عن الإسلام وانْصِراف الناس عنهم،

* من ذلك:

* الاعتماد على العقل في كثير من الأمور التي لا مَجال للعقل فيها.

* إبطالُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى تقوم دولة الخلافة.

* إباحة النظر إلى الصور العارية، سواء كانت في المجلات أو في التلفاز أو في غيرها.

* إباحةُ مصافحة المرأة الأجنبية بشهوة، بل وتقبيلها.

* سقوطُ الصلاة عن رجل الفضاء المسلم.

* سقوطُ الصلاة والصوم عن سكان القطبين.

* يجوز أن يكون القائد في الدولة المسلمة كافرا.

* لا يجوز تأجير الأرض الزراعية إطلاقا.

* حرمة كنز المال ولو أديت زكاتُه.

* إنكار عذاب القبر ونعيمه، وانكار نزول عيسى، وظهور المسيح الدجال.

* وَبغير ذلك من المخالفات التي أدت بهذا الحزب إلى أن صار بعيدا عن حظيرة الإسلام.

الأحباش[(١)]

* كنتُ أسمع عن الأحباش وضلالهم، وفتنتهم في لبنان، ولَمْ أكُن أتصَوَّرُ أنَّ لهم قوَّةً ونُفُوذًا، لأنهم طائفة قريبة العهد بالظهور، ولأن مؤسسها من الحبشة وليس من أهل البلاد، ولأن لبنان يَكْفِيها ما يكفيها من فِرَق وطرقٍ، وملل ونِحل.

* لكن لَمَّا كنت في زيارتي الأخيرة لأوربا، وتَجَوَّلْتُ في بعض المراكز الإسلامية، وقفت عن قرب على الفتنة العظيمة التي أصابت المسلمين بسبب هؤلاء الأوباش، وأيقنت أنهم مُمَوَّلون تمويلاً كبيراً مِنْ دُوَلٍ وأحزاب، ثُمَّ مِنْ أفرادٍ وهيئات، ويظهر ذلك في البَذخ الذي يعيشون فيه، والمؤسسات التجارية التي يُنشئونها في لبنان وأمريكا وأوربا، واستراليا، والإذاعات والقنوات التي يُقيمونها للدعوة إلى نِحلتهم، والكتب التي توزع بالْمَجّان، وجُرأتهم ووقاحَتهم على أهل السنة، ومهاجمتهم لِمَساجدهم، واعتداءاتهم على دعاتِهم، وانضمام بعض أعيان لبنان إليهم، ومنهم أصحاب مناصب رفيعة، وأعضاء بمجلس النواب، إلى غير ذلك مِمَّا لَمَسْتُه في رحلتي، ووقفت على حقيقته يقينًا من إخواننا الدعاة في داخل لبنان وخارجها.

(١) اعتمدنا في معرفتهم على المشاهدات في أوربا، ثم على كتاب الموسوعة الميسرة.

فَمَنْ هُمْ هؤلاء الأحباش وما هُو مذهبهم؟

الأحباش طائفة ضالة تنسب إلى عبدالله الحبشي، وُلد في الحبشة، ودرس اللغة العربية والفقه الشافعي، وصحيح البخاري وعلوم القرآن، وكان رجلاً ذكيًا سريعَ الفهم، وكان من المأمول أن يكون من دعاة الحق، ولكن ﴿ **من يُرِد اللَّهُ فتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا** ﴾ [المائدة: ٤١] فقد كان من سوء طالعه، أنِ الْتقى بشيخ من شيوخ الطريقة التيجانية، فَدرس عليه كتابًا يُسَمَّى «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق»، ومن هنا تَوَغَّلَ في الصوفية الباطنية، ثم قصد حكام الحبشة من أتباع هيلاسلاسي وتعاون معهم ضد المسلمين، واشْتَغل جاسوسًا على العلماء المجاهدين، وَقُبض عن طريقه على كثير منهم، فَأُعْدِمَ بعضُهم وسُجن بعضهم، وَفرَّ كثيرون منهم خارج البلاد، ولذلك أَطْلَقَ الناس عليه في بلاده: (شيخ الفتنة).

* *

* ولَمَّا سقط نظام هيلاسلاسي فَرَّ إلى سوريا ثم نزل لبنان عام ١٩٧٠ تقريبًا، واتصَّل بالْمُنَاوِئين لأهل السنة، واستطاع أن يُكَوِّنَ جماعة صوفيةً، ثم لَمَّا كثر أتباعُه وأشياعُه، جنح بهم إلى أنواع من الشرك الأكبر.

* فذهب إلى أن العبد لو قال بلسانه لا إله إلا الله مرة واحدة في العُمر، فإنه مؤمن، وإن ترك كل أركان الإسلام، وإنِ ارتكب جميع المعاصي.

* وإن الله تعالى هو الذي أعانَ الكافر على كفره، وأنه لولا الله ما استطاع الكافر أن يكفر.

* يسبُّونَ الصحابة وخاصة أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعائشة ﷺ.

* يُكفرون كبار أئمة المسلمين كالإمام الذهبي، وابن تيمية، وسيد قطب، وسيد سابق، وحسن خالد مُفتي لبنان رحمهم الله.

* يُؤَوِّلون صفات الله كلها ولا يثبتون له شيئاً منها.

* يعتقدون أن الأولياء يملكون النفع والضر، ويطلبون منهم قضاءَ الحاجات وتفريجَ الكربات، ويتبركون بالأحجار والآثار.

* ويُبيحون النظر إلى النساء والاختلاط بهن، ويدعون إلى التبرج.

* ينكرون زكاة العملة الورقية لأن الزكاة عندهم لا تكون إلا في أعيان الذهب والفضة.

* إلى غير ذلك من الضلالات التي ارْتدوا بها عن الإسلام.

* *

مُنكِرُو السُّنة

* سنة النبي ﷺ ثابتةٌ بالكتاب والسنة والإجماع، فمِنَ الكتاب قوله تعالى: ﴿ وما آتاكُم الرَّسُولُ فَخذُوهُ وما نهاكُم عنهُ فانتهُوا ﴾ [الحشر: ٧] وقوله: ﴿ وأَنزَلْنَا إليك الذِّكر لتُبيِّنَ للنَّاس ما نُزِّل إليهم ولعلَّهُمْ يتفكَّرُون ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٤] وقوله: ﴿ هو الَّذي بعَث في الأُمِّيِّين رسُولاً مِّنْهُمْ يتلُو علَيْهِمْ آيَاته ويُزَكِّيهِمْ ويُعلِّمُهم الكتاب ﴾ [الجمعة: ٢] والحكمة هي السنة. ومن السنة قوله ﷺ: وقد أشار إلى فمه: «ما يخرُجَ من هذا إلا حق»[١].

* *

* وقَدِ انْعقد إجماع الأمة على أن السنة مرجع أساسٌ ورئيسٌ للأحكام الشرعية، ولولاها لما عُرِفَ عدد ركعات الصلاة ولا أوقاتها ولا هيآتها وما يقرأ فيها، وما عُرِفت أحكام سائر العبادات، وما علم الحلال والحرام.. إلخ.

* *

---

(١) رواه أحمد وأبو داود عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

* وظلت الأمة على هذا الأصل، إلى أن خَاضَ بَعضُ المبطلين في سنة النبي ﷺ فمنهم من أنكرها مطلقًا، ومنهم من أنكر أن تُنْشِئَ أحكامًا شرعية، كحرمة الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، وتحريم لبس الحرير على الرجال إلا لضرورة، وغير ذلك من الأحكام الثابتة بالسنة الشريفة.

* *

* وَمِنَ الناس من تَوَقَّف عند بعض الأحاديث أو أنكرها، لأن عقله لم يَسْتَسِغْها لكنها أحاديث لا يتعلق بها حكم شرعي، كحديث الذبابة وغير ذلك.

* *

* ومنهم من زعم أن أحاديث الآحاد(١) لا يؤخذ بها في العقائد.

* *

* ولا شك أن من أنكر السنة مطلْقًا، أو أنكر إنشاءها لأحكام شرعية، ليسَ من أهل السنة والجماعة، بل هو من الفرق الضالة التي حذر منها النبي ﷺ وقطع بأنهم من أهل النار، وصدق رسولُ الله ﷺ فإنه ﴿ مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

* *

(١) حديث الآحاد ما رواه واحد فأكثر، إلى ما دون العشرة عند بعض العلماء.

ما هُوَ الْمَخرج؟

* الْمَخْرج الوحيد لِكُلِّ الفرق الضالة إذا أرادات النجاة،

أن تعود إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه،

وهو المنهج الحق الذي عليه أهلِ السنة والجماعة،

وقد سبق بيانُ أصوله، ومَا قام عليه من اعتدال وَوَسَطِية،

وصدق الله إذ يقول:

﴿وكَذَلك جعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسطًا لِتَكُونوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عليْكُم شهيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

* *

أهم المصادر والمراجع:

* تفسير الإمام القرطبي.
* تفسير الإمام ابن كثير.
* تفسير الفخر الرازي.
* أضواء البيان، للشيخ الشنقيطي
* صحيح الباري، شرح صحيح البخاري.
* صحيح مسلم، بشرح النووي.
* الشريعة، للإمام الآجُرِّي.
* منهاج السنة والعقيدة الواسطية، للإمام ابن تيمية.
* طريق الهجرتين، للإمام ابن القيم
* العقيدة الطحاوية، للإمام أبو العز الحنفي.
* المقدمة لابن خلدون.
* الخطط للمقريزي.
* فجر وضحى وظهر الإسلام، للأستاذ أحمد أمين.
* المذهب الإسلامية، للشيخ محمد أبو زهرة.
* إسلام بلا مذاهب، للدكتور مصطفى الشكعة.
* الموسوعة الميسرة، في المذاهب المعاصرة «إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي».
* بيان للناس من الأزهر الشريف.
* مجلة البحوث الإسلامية من العدد ١ إلى العدد ٦٥ دار الإفتاء السعودية.
* إمامة علي والشيعة والحاكمون، للمدعو محمد جواد مغنية.
* عقائد الإثني عشرية الإمامية، للمدعو آية الله إبراهيم الموسوي.

صدر للمؤلف

- البيان في أركان الإيمان.
- الظالمـون.
- طعم الإيمان، المجلد الأول والثاني.
- العلمانية من نواقض الإسلام.
- النصيحة في العقيدة الصحيحة.
- النصيحة في العبادة الصحيحة.
- زاد المحبين من سيرة النبي الأمين.
- خذوا حذركم.
- أصحاب النبي ﷺ خير القرون، وقرة العيون.

تحت الطبع

- سيرة الصحابة، في عدة مجلدات.
- طعم الإيمان، المجلد الثالث والرابع.

«محتوى الكتاب»